الشاعر الألماني

هانس بوتشر

○ ترجمة : د. شاكر مطلق

تعريف بالشاعر الالماني (هانس بوتشر)
المسمى والمعروف باسم « يؤاخيم رينغل نانتس »

ان المكانة التي شغلها (رينغل نانتس) الشاعر ـ الرسام ـ الممثل الغنائي ، على الكثير من مسارح المانيا ـ سويسرا ـ فيينا ـ براغ ، هي مكانة من الصعب تحديدها اذا ما التزمنا معايير أدبية كلاسيكية لذلك ، حيث لا يمكن ـ حسب رأينا ـ تقييمها بشكل صحيح دون فهم للظروف الحياتية والاجتماعية التي عاشها الشاعر شخصياً والتي عاشتها المانيا بشكل عام في مطلع القرن العشرين ، ودون اظهار البعد الانساني العميق للشاعر في قصائده التي قدمها لنا بقالب غير مألوف ، قالب ساخر مغرق في النقد والتهكم المكشوف والمبطن ، متلاعبا بالالفاظ كما يتلاعب الممثل في السيرك بكراته : قاذفا اياها في الهواء ببراعة وهدوء ، محاطا بجو من الموسيقى الصاخبة ، غير الجدية مثيرا الدهشة عند المتفرجين ولو لفترة قصيرة حتى يبدأ عرض المشهد الذي

قد يطير بالمتفرج « القارىء هنـا » بعيدا كل البعد عـن المشهد الاول وينقله فجأة من انفعال معين الى آخر ، كأن تعرض مثلا مشاهد للدب القطبي المروض ، وفجأة من افريقيا البعيدة مشاهـد للفيلة أو الليـوث وتغادر السيرك وتبقى الانطباعات عن تلك المشاهد عندك تتراوح بين العجب والـدهشـة واللامبالاة دون أن يخطـر ببالك الجهـد والمعـانـاة والتمارين الشاقة التي لزم القيام بهـا حتى تمكن الممثل من أن يقـدم لك تلك المشاهد القصيرة المتقنة التي تبدو سهلـة ظاهريا وهي صعبة عمليا (السهل الممتنع) •

هـذا هو حال (ر • ن) في قصائـده التي تبدو سطحية ـ مسلية ـ ساخرة ـ فيهـا نقد ذاتي كثير وعميق وحيث تبدو وليدة نزوة عاطفية عابرة ، وان كـانت غالبا بل وفي معظم الاحيان وليدة معانـاة انسانية عميقة وحزنا ساخرا واحتقارا لمجتمع القشور والمظاهـر ، وتبدو عنـد الشاعر رحلة الاغتراب في الذات ـ رحلة الاغتراب في المجتمع وفي الحياة •

يظهر (ر • ن) بلباس رسمي وقبعة سوداء ، ثملا بعض الشيء باحدى حفلات ما يسمي بالمجتمع الراقي ، وفي ظهوره احـراج لسيـدة البيت لانه شاعر العامة ـ شاعر الشعب ـ شاعر الحانات الرخيصـة والتعابير القاسية بل البذيئة أحيانا ، فتتقـدم سيدة البيت نحوه وتأخذ به جانبا وتقول: (لاأذكر يا سيدي بأنني قد قمت بدعوتك لهذا الحفل)

فيجيب (ر • ن) بدعابته الساخرة :

سيدتي انك ليس فقط لم تقومي بدعوتي ، ولكنني قمت طبعا برفض تلبية دعوتك .

هذا هو (ر . ن) يعجب به الكثيرون ولكن في ظهوره احراج لايليق بمجتمع متزمت كمن يقرأ مجلة بلاي بوي من المثقفين أو ممن يدعون كونهم كذلك ، ويتظاهرون انهم اشتروها ، ليس لرؤية صور الاجساد العارية الجميلة تتمدد على صفحاتها الصقيلة ، وانما لقراءة مقابلة للفيلسوف هربرت ماركوزه مثلا أو لقراءة تحقيق عن حياة طبيعة الغابات - كما يسمي - (البرت شفيتسر) المهم أن تجري عملية التمتع بشعره الساخر النقدي في الخفاء ، كأن توضع أشعاره بين طيات كتاب يحمل اسم (غوته) [1]و (هاينرش هاينه) أو (ايشندروف) وللتمويه فقط .

هذا المدخل - حسب رأيي - ضروري لفهم شعر وابعاد هذا الشاعر الرائع . والروعة هنا حكم غير علمي ، فأنا لا أقول عن عمد :

الشاعر العبقري الواسع الافق والشاعر الخالد ليس لعدم اعتقادي الشخصي لوجود ملامح لهذه الصفات عنه ، ولكن لان هذا سيكون ضد رغبة هذا الانسان ، الشاعر الذي ابتدأ حياته كصبي على سفينة ، واصبح ما بين - ١٩١٤ - ١٩١٨ - بحارا ثم قائدا لمركب كاسح للالغام .

في عام ـ ١٩٢١ ـ حقق نجاحا باهرا على مسرح برلين الناقد المسمى (صدى ودخان) من خلال عرضه المسمى (هانس فون وولتسوغنس) وتتالت عروضه الناجحة التي تصل ذروتها في قصائده الشديدة السخرية اللاذعة النقد في (قصائد التمارين ـ السويدية) وفي الشخصية التي ابتدعها للبحار المسماة (كوتل دادل دو) هذا الاسم الغريب حتى على الأذن الالمانية قريب من مشاعر ملايين العمال وخاصة البحارة وأولئك الذين يرون أنفسهم بين شفاه هذه الشخصية وهي تتجول في طول البلاد وعرضها : في احتفاله بأعياد الميلاد على طريقته الخاصة ـ في تجولاته بالميناء ـ في عجزه عن الابتعاد عن السفينة وعن عالم الميناء لدخول أرض بدون أمواج وركوب القطار والحافلة ، بحنانه وعطفه على الاطفال الكبار وقص الاساطير المبتدعة منه لهم عليهم وعلى طريقته الخاصة :

يحيونه بمختلف اللغات
لانهم من مختلف صقاع الارض والشعوب
وهو البحار الدائم التنقل
يضع يديه في جيبه ويخرج لهم هدية ما ،
يحملها دوما معه

زجاجة من الويسكي ـ علب الثقاب ـ طلقات مسدس
ويعطي كلا منهم دولارين ، ويعطيهم ما جمعه في أسفاره :

(أنيـاب الفيلة من الكمـرون
دجاجة من الملايا مطبوخـة بالكونياك
من التيبت قصة لكارك ماي
رباط عنق لاحد الاسكمو مصنوعا من شعر زرافه
وقطعة متحجرة من جمل مـا .

يعلمهـم :

(كيف يرقصـون
كيف يصنعون السفن ويمضغون التنباك
وأحيانا بغياب نسائهم عنهـم ،
يشم لهم مرساة وطيبا على أيديهم وأرجلهم
ويتابع حكاية الاساطير التي يختلقها بمرح لهم
ويشرب الخمـرة بكثـرة .
وتمـر السـاعات
الاطفـال يبكون : الفتيات يثقل كلامهن
الام ، منذ فترة تحت الطاولة (من شدة السكر)
وهـو كان قد تقيء مرتين
وحتـى لايزعج هذا الهدوء أكثر من ذلـك
يترك المرأة وأولادها وينسل بهدوء
ويبقـى يفكر ، ساعات بحد اجتياز صقيلية ،
بالساعات الحزينة لاسره .....

كما رأينا في هذه الصورة فالشاعر هنا شديد الارتبـاط باولئـك الذين لهم مشاكل حياتية تشابه مشاكلـه وهـم غالبـا مـن الضـائعين والبؤساء الذين يعيشون على هامش الحياة الاجتماعية وهو يعتبرهم أسـرا لـه ٠

والآن بعضا من نماذج شعره الذي يصعب جدا ترجمته لسببين :

١ ـ خاصية اللغة التي يستعملها والتي يصعب حتى على الكثيرين من الالمان فهمها بشكل دقيق ٠ فهي رموز تخفي وراءها عوالم كاملة وقد تعبر فملا كلمة واحدة عن حالة يتطلب شرحها الصفحات ٠

٢ ـ ان الشخصيات التي يحركها (ر ٠ ن) على مسرح الحيـاة ، والتي تعبر عن مشاعره وافكاره ، هي أنماط حية تعيش حياتها الخاصة ولكن ليس من السهل على من لم يتعرف اليها عن قـرب ، ان يفهـم كلماتها وتصرفاتها المتناقضة ٠

ورغم ذلك وبعد ان قضيـت أعوامـا عديدة مـن حياتـي في نفس الاماكن التي عاش فيها الشاعر وعرفت نفس الحانات التي كان يلجأ اليها وهي غالبا لاتبعد عن السفينة الراسية الا مسافة قليلة في الميناء ، وتعرفت الى وجوه العمال ، بناءة السفن ، والبحارة ، والآفاقين والعاملين في تلك الاماكن التي يلفهـا ضباب (هامبـورغ) في الليالـي البـاردة الحزينة ـ السعيدة ٠

سأحاول القيام بهذه المهمة الممتعة الشاقة :

مختـــارات

« طابـع بريـدي مـذكـر »

طابع بريدي مذكـر
عاش شيئا جميلا قبل أن يلتصق
لقـد لحستـه أميرة جميلة
وأيقظت بذلك فيـه الحب
لقـد شاء أن يقبلها مـرة أخـرى
ولكـن كان عليـه أن يسافـر
وهكـذا أحبهـا عبثـا
هذه هـي مأساة الحيـاة .

كما نرى الصورة بسيطة وبسيطة جدا ، فتاة تلصق طابع بريدي على رسالة ولكن (ر . ن) يخلق من ذلك حدثا ويعرضه علينا بشـكل طريـف وجميـل .

قصة حـب غريبـة عبثيـة .
صورة أخرى من نفس الانموذج :

« علبـة نشـوق : (زغـوط) »
كانت هناك علبـة للنشوق

قد حفرها فريدرش الاكبر (القيصر)
مـن خشب شجرة جـوز
وكانـت طبعا فخورة بذلك
وجاءت ، زاحفة ، دودة الخشب اليهـا
واشتمت رائحة خشب الجـوز
فحدثتها العلبة باسهاب عن فريد رش الاكبر
وعن عصره
حدثتهـا عـن كرمـه
فاصبحت الدودة عصبية وقالـت :
بينمـا ابتدأت بحفر العلبـة ،
مـاذا يعنيني فريد رش الاكبر ؟!

« النمـــل »

لفهم هذه القصيدة يجب الاشارة الى ان (التنا) المذكورة في النص هي احدى ضواحي مدينة هامبورغ في شمال المانيا الغربية الواقعـة على نهـر الالبـه ويصلها بالمدينة شارع طويل •

(في هامبورغ عاشت نملتان
لقد أرادتا السفر الى اوستراليا
وفي (التنـا) على الشارع الطويـل
آلمتهمـا أرجلهمـا

فاستغنيتا ـ حكمة منهما ـ عن الجزء الاخير الباقي من
الرحلة

الروعة في هذه القصيدة وعنصر المفاجأة والسخرية فيها في القرار الحكيم بالغاء الجزء الاخير من رحلة تبعد عشرات آلاف الكيلو مترات بعد سير بضعة أمتار فقط .

وبنفس هذه الروح الساخرة يتحدث الشاعر في قصيدة صغيرة عن (البوميرانغ) وهي آلة للصيد عند سكان استراليا الاصليين تصنع من الخشب مقوسة قليلا تعود من حيث قذفتها اليد اذا لم تصطدم بالطريدة وتصرعها ، فلنسمع ما يقوله لنا عنها :

(بوميرانغ)
كان هناك بوميرانغ ،
كان طويلا بعض الشيء
طار مسافة قصيرة
لكنه لم يرجع
الجمهور ـ ساعات بعد ذلك ـ
ما زال ينتظر عودة البوميرانغ)

ولننتقل الى صورة اخرى يصور فيها امرأة عجوز تبحث في القمامة عن أشياء للجمع ، ونقتطف الجزء الاخير منها حيث يقول :

(ماذا كانت حياة هذه الساحرة (الشمطاء)

ربما كانت قد تكلمت اللاتينيــة ،
ربماً قامت وصيفة بطلاء أظافرها (في يوم ما)
ربما زحفت ـ منذ آلاف السنين
كدودة الاسكاريس (حيــة البطــن)
في أمعــاء أحد ســكان المريــخ ••••••

اما ذروة قصائده المريرة فيمكن أن تبحث عنها ـ حســب رأي في اشعاره وهو البحار الثمل الذي يسير بحثا عن انسان يشاركه احزانــه ، عن المرأة • ونجد ذلك في قصيدته الرائعة التي يمكن ترجمة عنوانهــ بحرية وحفاظ على المضمون كما يلي ؟

« غريــب يشاكس امــرأة متبرجــة »

مساء الخير أيتها الجميلة المجهولــة
انهــا التاسعة والنصف ليــلا
هــل تتفضلين ، لطفــا منــك ،
بمرافقتي لننــام معــا ؟
مــن أنــا ؟؟
تقصديــن مــاذا أسمــي ؟؟
ياطفلتــي الحبيبــة
ســوف أكــذب عليك

لانني سوف أهديك ثلاثـة جنيهـات ،
انني لا أقبـل أبـدا علـى الفـم
وانني معـا كلينـا الادهـى
غير أنه بامكانك ، مقابل ثلاثة جنيهات أخرى
ان تخدعيني
صدقيني يا طفلتي الحبيبة
من كان في زنجبـار وتيروليا
ومن كان في سجون كالكوتا مـرة
يشعر عندئذ ، بأنـه لايعـرف
ما أشـد غرابة الناس ،
شرفـك مثـلا
أنـه ليس كما عند مطرس الاكبـر
وبالمناسبة لقـد كنـت
ـ اهدنـي هذا الشريط الاصفر ـ
كنـت في (التنا) علـى الالبـه
أزيـن واجهـات المتاجـر
هـل سمعت الصفير
انـه لشركة (ولسـون) البحريـة
نعـم ؟؟
انني سكـران قليلا ؟؟

اوه ، لا ـ لا ـ
انني ثمل الى أبعد الحدود
وانني مجنون خطير كالكلاب
ولكن ستة جنيهات تستحق المخاطرة ،
كيف تسيرين بحذر الى جانبي
انظري فسوف أهديك أشياء غريبة ومسلية
انا أعرف ، سوف تضحكين
انا أعرف ، أنها ستجعلك أيضا حزينة
بالرغم من أنك لاتفهمين منها شيئا
وانا كذلك ـ
سوف تعطيني ثقتك فيما بعد
وانت بالثياب الداخلية
الفتيات أمثالك يثقن بي دوما
انني مبني بشيء من الاعوجاج في هذه الحياة
حيث كل شيء غامض وغريب علي
هناك تسكن أمي ـ هراء
أرجوك أن ترفعي صوتك •
انني خزانة (كومودة) قديمة
غالبا ما أنصب عليها الحبر والنبيذ
أحيانا تغلق برفسة من القدم

كـم سيتمتع مبتسما ذاك الـذي
سيكتشف بعد موتي ـ المخبىء السري فيه ؟؟
آه أيتها الطفلة ، لو أنـك تعرفـين
كـم هي لذيذة شطيرة البيض (كونتز بورغر ،
ان هذه ليست بمزحة حقا
وانني غـير سعيد حقـا
وانــه لا قلب حقيقي لي
انني مهـرج صغـير وبـذيء
ان قلبي الحقيقي في مكان آخـر
في مكـان مـا ،
مـن الصـدف المتكلـس ...

هذه هي أبرز صورة للمعاناة التي عشها هذا الشاعر طوال حياته يضحك بل ويسخر آلما ، يعيش لذاته كم تأتي وقلبه الحقيقي بعيد بين الاصداف المتكلسة فهو لا يفهم الحياة ربما لا يريد أن يفهم عبثية الوجود وصور التناقض التي تفرضها عى الانسان فيقول

ماذا يهمكم ان كان أحد يحبكم
تقطعـون انفسكم دوما
تسبقـون ذاتكـم هـربا
هل أنتم مندفعون ـ ككل مندفع (ل) ـ
يبقـى نقيـا ؟

الفكرة الفلسفية هنا معقدة جدا وقد تعمدت وضع حـرف اللام في العبارة الاخيرة (يبقى نقيا) ليكون الجسر الذي نستطيع منه العبور الى أعماق هذه الغابة المتشعبة الدروب التي تبرز فجأة امامنا وبشكل مكثف ، معبرة عن متاهات النفس الانسانية :

اللامبالاة ـ التدمير ـ القوى الخفية الدافعة للانسان ـ الهـروب الفردي والجماعي ـ النقاء فيما بعد ... أليست هذه احدى صور ملحمة جلجاميش السومرية وكان سيد أوروك يبحث فيها عن (اتنو بتشيم) الخالد ـ القصي ـ الذي يسكن عند مصب الانهـار ... ليعرفـه سـر الخلود والنقـــاء .

قصيدة : (في الحديقـة العامـة)

غزال صغير ، كانَ واقفا تحت شجرة صغيرة ،
يحـلم بهـــدوء
كانت دقيقتان بعد الحادية عشرة ليلا .
وعندما رجعت في الرابعة صباحا الى هناك
كان ما يزال يحـلم .
بهدوء اقتربت منـه ، بلا نفس ،
وبعكـس الريـح ،
ودفعتـه برفـق :
فكـان مـن الجبص

هذه القصيدة تذكر (بالسمفونية ذات قرعة الطبل) للموسيقار (هايدن) التي تنتزعك فجأة من أحلامك الى عالم الواقع ، بل تذكر باحدى قصائد الشاعر الالماني الكبير (هاينرش هاينه) وهو يسخر من الرومانطيقية ويقول لفتاة مأخوذة بمنظر الغروب :

(يا آنستي ...
استفيقي ...
انه حدث قديم
هنا في الامام تهبط الى الاسفل
وهناك في الخلف ترتفع الى الاعلى)

والآن بعضا من انطباعاته ووصفه لبعض المدن الالمانية مقاطع من قصيدة : (هامبورغ)

(هامبورغ)

الام الميناء ـ مجوهرات الالستر ـ
ـ المقصود هنا الاضواء المتلألئة على ضفاف
بحيرة الالستر في وسط هامبورغ ـ
هذه الاشياء ، هي عندي

مفاهيم جاهزة ٠
هنا أشرب الجعة صباحا
والمعدة ما زالت خاوية
أكوم اللحم المقدد ، على الخبز الاسود الخشن
وأشعر بنفسي قويا على كل المعضلات
علي أن أخجل من نفسي
ان أنا شكوت في هذا المكان

من قصيدة بلدة : (مانهيم)

أيبعد هذا الشرطي عني
انه يقوم بمهمة ضدي
مع انني لا أبغي الا ان أصرخ
أصرخ بأعلى صوتي
وهو يصرخ :
لا ، لا ، هذا ممنوع
ماذا يضير صراخي
وأنا اليوم نشوان ؟؟
هذا ما لا تتسعه
عقول الشرطة ٠
ترقبوا أيها الناس ماذا سأفعل
لن أقوم بأي سوء
لو جريت الآن

لجسري ، حامـل السيف هـذا ،
كالمتوحش خـلفـي
ولكنـنـي أسـرع منـه
وسـوف أصـرخ عندهـا
بكـل طاقتـي
ماذا تفهم الشرطة من حالة النشوة هذه ؟.
فـي القطـب الجنوبـي
يحـق لكـل ليـث بحـر أن يصـرخ
بـأي ارتفـاع يشـاء
حسـنـا ... انـنـي صامـت .

كما نرى كل ما يريده هذا الانسان انشوان هو أن يصرخ من الفرح بأعلى صوته ، غير أن للمجتمع قوانينا تحد من حريتك مهما كانت رغبتك مسالمة غير أنها مخالفة للعرف .

مقاطع من قصيدة أخرى عن برلين تصور ضياع الانسان في عالم المدينـة الكبـيرة :

وقد كتبت في تشرين أول عام ١٩٢٣ :

(برلـــين)

صبـاح الخـير يا حبيبتـي .
في الامـس أراد شـقيقي أن يسـطو عـلي

أراد أن يقتلني وصاح :
(الي " بالنقود) وأطلق النار
وقد أعطيته خمسة على جمجمته
وقام بذلك مفتاح البيت
اليوم توفي في المشفى
ماذا تراه قد فكر ـ في الاخير ـ وهو على فراش الموت ؟؟
ماذا علي أنا أن أفكر ؟؟
اية قوى تحرك المقذوفات
الحاجة ـ والخطأ ـ الدفاع عن النفس والاسف ؟؟
ان كنت أضحك ، طبعا انني سعيد
لان هذا الشقي قد صوب خطأ
أنا الفقير أن يظنني من الاغنياء .

ومن برلين أيضا حيث المقاعد على أكتاف القنوات التي تخترق المدينة مقاطع من قصيدة :

(على الاقنية ـ في برلين)

على مقاعد الاقنية
يجلس أناس
ليخلصوا من عذابهم
أضواء تعبر مسرعة

آلاف الوجوه ، تلمع عابرة :
برلين
على سطح المياه
ضباب من البنزين
تحته يكون الامر أفضل
خلف الجسر
تطير بعوضة في ثقب الانف
ثقب أنفي
أعطس اذن
في هذا الشارع الهادىء
في الباص ، في طابقه العلوي
ترتج عظامي
تستيقظ كلمات حسنة (يقصد شتائم)
تبقى مكتومة ،
آه ...
لقد تذكرت تلك المرأة ، موزعة الجرائد
(فانبلكس) أو (بلاكس)
اسمها
لها رجفة غريبة في رجلها

حتى لتعضّها الكلاب
على القنوات
على المقاعد المطلمات
يجلس الناس
الذين سينتحرون غرقا في الصباح
(يوم مكفهر)
عويل النساء في البيت :
الطفل الميت يبدو كالثلج
ذهبت مع أخي فقط الى البحر
اصطدنا الكثير من الدموع
والشبكة كانت فارغة

من قصيدة عن ذبابة عجوز في مدينة (لايبزغ) حرمته لذة النوم حتى أنه أراد :
(ولو برفق شديد ، أنْ أقتلها بعض الشيء)
حتى يقول في النهاية بسخرية :

أخذت مني كل اللذة
انني لست مستيقظا ولا نائما
كما لو أن الرعد سيأتي
هل يصعق البرقُ يا ترى الذبابةَ أيضا ؟؟

قصيدة : (بعض من طفولتي)

الاب السعيد ، حضن الام

غرفة الاطفال ، البيت المألوف

قـدم خنزير محمـرة

عمتـي روزشـــن

حـلوى طعمهـا كخفـراء الذبـاب

عندما أتقيـأ في الغرفـة

يضحـك أخـي كالخنزيـر ،

عندما يضحـك ، تصفعـه أختـي

عندما تصفـع ، تبكـي أمـــي

عندما تبكـي يصـرخ الاب لاعنـا

عندما يلعـن تشرب عمتي النبيـذ

عندما تشـرب النبيـذ ،

تهدينـي قطعـة مـن الحلـوى

عندما أتنـاول الحلـوى عـلي ان أتقيـأ .

من قصيدة : (انه يستحق ذلك فعلا)

انــه يســتحق ذلك فعــلا
أن نكــون لطفــاء بعـض الشـيء
وأن نضــع الامــور في المستــوى البسيــط
وليــس مــن الكـرم أن تعــذر
بأن يكــون للاخرين رأي مخالــف
فعــلا ان الحمــاس طبيعــة
في خــير الامــور وشــرها
ولكــن" عقــدة في شــريط الحــذاء
لا يمكن حلهــا بــدون لطــف وهــدوء •

وما دمنا نتحدث عن عقدة شريط الحذاء فتعالوا نستمع الى ما قاله (ر ٠ن) في حذائه بقصيدته :

نعـــل حـــذائـــي

لقــد كان قريبــا منــي دومــا
نعــل حــذائــي
مع أننــي لــم أنظــر اليــه الا نــادرا •
لقــد حفــظ ســطح قدمــي
عليــه التصــق عــدم الهــدوء
والاقــذار والدم وربمــا بعض من الذهــب

لقـد اضمحل مـن أجلي
ولـم يـر النـور الا نـادرا
مـن لا يحـب نعـل حـذائـه
لا يستطيـع أن يحـب الارواح .
ان قلبـي ثقيـل منـذ أيـام
عـلي أن أحمـل حـذائـي الـى الحـذاء
والا فلـن يستطـع حملي بعـد الآن .

قصيدة : (هـل تعـلم ؟)

ماذا لو أنجب من له تسعة عيون
والـف قـدم أطفـالا
كيف تـرى سيمشون ؟؟
كيـف تـرى سيسيرون ؟؟
أنا لا أعـلم أتعـلم ؟
هل تعـرف أن ظل طـائـرة
مـارا فـوق البيـوت ـ الاشجار ـ الوسائد ـ
النـاس ـ الحيوانات ـ المـاء
لا يقاومـه شيء أو أحـد ؟؟
كلنـا يعـرف لمـاذا فـي الاغصان الجميلة
عناكب جميـلة ، تصنـع شباكا جميـلة

ولكن هل تعلم ؟؟
ماذا يعني صمت انسان آخر
الآن فيما مضى وفيما بعد ؟؟

قصيدة : (بحار سابق)

آه كم أود أن أعود مرة أخرى
بحارا لأجوب الأطلسي
وأعطس من أنفي
في الطقس العاصف
قلبي وأغنياتي

قصيدة : (حالة كآبة)

السكرة تذهب
الماء يجري
الوقت ينتهي
وقت جديد يبتدىء
لماذا ، ما الغاية ؟؟
أتصورك ، بدون لحم ، فأجدك
هيكلا عظميا ناحلا وحزينا

يا أجمل الفتيات أنت !
مَن بعث هذه التساؤلات ؟
أهو ضيفنا ؟؟
مَن لم يسأل يَمُت
هل هناك احالة بريدية (نقود من عمته غالبا)
تلغراف ، رسالة جيدة ،
تنفس عندها بعمق
كالاكورديون .

قصيدة : (متعب في برلين)

عندما تتهارب الافكار مذعورة منك ،
حتى ان ساقا جميلة لا تفرحك
ورطوبة* عكرة تنتشر فوقك
تحت النجوم .
فأين أنت ذاهب في مثل هذا الوقت ؟؟
جميل مثلا الذهاب الى حانة بلتسر
ولكن المتعبون جاحدون
اذهب لبيتك واستاق للراحة .
فانك لن تجد الكلمات
اذا حادثك أحد ما بلطف

لانك أنت ، أنت
ولا تستطيع الهروب من ذاتك
ضع نفسك بين يديك
عندها "تزبد" برلين المتلألئة
على جدرانك الرزينة
سفينتك سوف ترحل في البعيد •

قصيدة : (المغامر)

(أيها المغامر الى أين أنت ذاهب ؟؟)
مجتازا المخاطر
حيث كنت منذ آلاف السنين
في الحلم •
سأترك نفسي تنساق
في عوالم لا يراها الا غريب
أريد أن أصارع لأنال ، أن أمسك ، أن أحيا ،
ما يحصل في غير مكان
الحظ لا وصول اليه أبدا
يجذبني مكان بعيد
"يجذبني عتمة" خشنة
ربما الى حيث اللا وضوح الضبابي

ما كنت قد ملكت
ما كنت قد عرفت
أريد أن أضيعه ـ أنساه ،
سأسافر خلال صدري .

قصيدة : (زاوية حائط قديم)

أيها الجدار القديم
الذي كثيرا ما أبول عليه
لانه في مكان عاتم .
بريق سماوي
ينبعث من شحوبك .
الرطوبة والطحالب
وتقلب الازمان
أعطت لجلدك تلك الوجوه المتجعدة ،
التي لا يراها الا شاعر
أو فنان
أو احد ما فقط
« هل نستطيع حماية أنفسنا ؟ »
ينبعث منك برفق السؤال
آه . لا كتاب ولا لوحة

يستطيع هكذا أن يُعلمني

ما شاهدته عليك

سيبقى بعضا منه الى الابد

أيها الجدار الذي لم يألفني أبدا ،

انني أحبك .

لأنك لا تعطي المواعظ

لأنك لا تنهي الامور

ولأنك لا ترغب أن تكون أي شيء

ولأن البقع عليك

توقظ عندي الظنون

أنت شعاع للظل .

لا يعرفون عن ذلك شيئاً

أولئك الذين هنا يبولون

ولكنك تومىء الي تعال

ومنذ أن عرفتك ، تثير عندي لثوان

قضاء الحاجة ، مشاعر معينة .

قصيدة : (أحبك كثيرا)

أحبك كثيرا
كم بودي لو أهديتك ، دون تردد ،
طوبة ً من موقدي
انني لم أقدم لك شيئا
والآن أنا حزين .
على السفوح المائلة لخطوط القاطرات
تلمع الورود البرية بشكل جميل .
عبير طوته السنون
ولن يُنسى ابدا .
انني راحل
كل ما هو طويل البقاء
يتّسم ُ بالهدوء .
الزمن يشوه كل الكائنات .
كلب يعوي
لا يستطيع القراءة
لا يستطيع الكتابة
لا نستطيع البقاء .
انني أضحك .

ان أهـم ما في المصفاة هي الثقوب .
انني أحبـك كثـــيرا .

هذه القصيدة الحزينة تعالج مسألة جدية هي مسألة الموت والفناء ولكن الشاعر يقدمها لنا بقالبه الساخر حيث يقول : « ان الثقوب هي أهم ما في المصفاة » أي العدم ، اللا شيء ، الفناء ...
وما أروع تعبيره « أن الزمان يشوه كافة المخلوقات » .

والآن قصيدته الرائعـة :

(حصـــان البحـــر)

عندما كنت لم أزل حصان بحر
في الحيـــاة الســـابقـة
كـم كـان ذلك رائعـــا
أن أتارجـح تحـــت المـــاء
في الامـــواج الحالمـــات
يتمـــوج كالسنابـل شـعـرك
يا أحســـن أفـــراس البحـــر
التـــي هـي حبيبتـــي
نغـــوص ونطفـــو بهـــدوء
نرقـص بايقـاع متناسـق حـول بعضنـا البعض

دون أيـد ، دون أرجـل ، دون أكـف ،

كما تتداخل الغيوم بعضـّها ببعض

تتهارب بغنج ودلال لأمسكها

حتى ألحقَ بها وامسـكها

وضعـت' لـي مـرة ابـان احتضانهـا

بيضـة' في جيبـي

نظرت بحزن وتظاهرت بالفرح

وانقضـّت علـي برغوث مـاء

وتمسكت ، ملتويـة عـى ساق عود وقالت هكذا :

انـنـي أحبـك

انك لا تصهل ، لا تلقي تفاحا (براز الخيول)

انك ترتدي ثوبا محرشفا بلا ألوان

ولك وجـه' حزيـن مجعـّـد

كمـا لـو أنـك تشعـر

باقتراب مأسـاة مـا .

"عرّيسة" البحر يا صغيرتي

(رنفل ناتس)

متى كان ذلك ؟

ومن سيحزن فيما بعد على بقايا عظامي ؟

انه لأمر يقربني من البكاء .

(لولو) حطمت ذلك الحصان

المتيبس ، المنكمش ألما ...

اسم الشعر وطبيعته

١٥. ي . هاوسمان ٥ ترجمة : يوسف أحمد المحمود

لا أدري ، فيما اذا كانت ملكة النقد الادبي أفضل موهبة تحتفظ بها السماء في خزائنها ، لولا أنه يظهر أن السماء تظن ذلك ، لانها بكل توكيد لا تمنح هذه الموهبة الا مقتصدة ٠ واذا كان ظهور الخطباء والشعراء ، الحكماء والقديسين والابطال ، تندر مقارنتهم بثمر العليق ، وأن ظهورهم أقل تعميما من ظهور مذنّب هاللي ، فان ظهور نقاد الادب أقل تعميما ٠

واذا كان الناقدُ الادبي، لا يظهر الا مرة واحدة في القرن ، أو مرة كل قرنين ، فهل يستطيع أحد علماء الرياضيات في هذا البلد ، أن يقول لي ماهي الفرص التي يتيحها ظهوره بالنسبة لذلك العدد الضئيل من الناس الذين يسمون بالادباء الكلاسيكيين ؟ اذا كان مثل هذا الاقتران

---

* ــ ألبرد ادوارد هاوسمان ، (١٨٥٩ ــ ١٩٣٦) ، صاحب المحضره ، احد ابناء الكلاسية الحديثة الكبار . استاذ اللاتينية في جامعة كمبردج . لـه ديوانان من الشعر الغنائي ، اشتهرا بالاقتصاد في الالفاظ وبساطتها .

الاتفاقي ، قد حدث متأخرا في القرن الثامن عشر في شخص ليسنج (١) ، فانه لينبغي أن تمر فترة طويلة ، قبل أن يحدث مرة ثانية ٠ واذا كان لا يزال مبكرا أن يشهد القرن العشرون ناقدا أديبا في شخص آخر ، فكم ما أعرفه أن ذلك الناقد لن يكون أنا ٠

لقد تحسنت في هذه الاثنتين والعشرين سنة من وجوه ، وفسدت في وجوه أخرى ، الا انني لم أتحسن الى درجة أن أصبح ناقدا أديبا ، كما انني لم أفسد الى حد أتخيل فيه أن سأكون ناقدا أديبا ٠

لذلك فانكم لستم على وشك أن تخاطبوا بلهجة الثقة التي توافق نقاد الادب ، كما أنكم لن تكونوا مخدوعين ببعض أولئك الذين تسول لهم أنفسهم أن يكونوا نقاد أدب ٠

ان الادب الجيد ، في عدة لغات ، كان تسليتي المفضلة طوال حياتي٠ وعلى الادب الجيد الذي تستمر قراءته للمتعة أن يكون ، ودعونا نأمل ذلك ، مفيدا للقارىء٠ عليه أن ينشط احساسه ان كان بليدا ، أن يشحذ حصافته ان كانت كليلة ، وأن يهذب آراءه الشخصية ان كانت فجة ٠ مع أنه لا ينبغي للآراء الشخصية أن تبقى الحقائق التي تنقل المعرفة بحد ذاتها لتوكد البصيرة النافذة والمعرفة الفائقة ٠

ان براعة نظم الشعر ،هو الموضوع الذي أول ما فكرت أن أتحدث فيه هذا اليوم ، لأن هذه البراعة تقوم على حقائق يجهلها معظم الذين يمارسون نظم الشعر ، وان نجاحهم فيها ، اذا ما نجحوا ، فنما هو

مدين لذوقهم الفطري ولجودة جرسهم الطبيعي.

هذه الحقائق المستترة ، تشكل القوانين الطبيعية التي يكيف بها نظم الشعر كله، والمصادر السرية للمتعة الحسية التي يمكن أن يعطيها الشعر الجيد ، قليلا ما يكشف عنها النقاد .

ان المرء اذا ما أخذ بمناقشة طبيعة الشعر ، فان العقبة الاولى التي تعترض طريقه انما هي في الغموض المتأصل في اسم الشعر ، وفي كثرة معانيه التقليدية . انها ليست لغة انجليزية رديئة أن نتكلم عن « النثر والشعر » بمعنى « الكلام المنثور والكلام المنظوم » . ولكن هذا اسراف ، انه تبديد لكلمة ذات قيمة أن نمطها لكي توافق المعنى الذي عبر عنه تعبيرا دقيقا باصطلاح واسع . ان النظم يمكن أن يكون « محطم العافية »، كما هي الحال في حكاية السير توباس في قربان يوم الديونة المقدس ، التي جرت في نزل تابارد(٢) ، وعندئذ يكون اسم الشعر مقصورا بصورة عامة على النظم الذي يمكن أن يسمى أدبا في أقل تقدير ، مع أنه لا يختلف عن النثر الا بشكله الموزون وحسب ، ولا يتفوق على النثر الا بمناسبته الفائقة لذلك الشكل نفسه فقط ، ثم بصقله الرفيع الذي لا يفارقه عادة . وفضلا عن ذلك ، فهناك شعر يعطي متعة حسية محضة ومفعمة بالحياة ، تنبع من قريحة الكاتب ومن كياسته .

لحبلين(٢) اليوم مصنة ممنعـة
انـــه يحــب النكتــة المناسبــة ،
وهكذا ، بمظهــر المــرح ،
تكلـــم الــى الكالنــدر :
لقد جئــت لأن حصانك سيأتــي ،
فاذا حــدث لــي ما يميــق ،
فان قبعتي وشعري المسعار سيكونن هناك في الحال .
انهما في الطريق اليك .

شيء فاخر : الا أن أحدا ، اذا ما سئل أن يورد نموذجا من الشعر ، فانه لن ينشد مثل هذه الابيات . وليس المقصود من النموذج المطلوب أن يكون اقل سهولة وبساطة ومباشرة ، بل يمكن أن يكون أقل بروزا :

تعال يا عولس ، أيها اليوناني الشريف ، تعال ،
سيطر معي عــلى هذه الشواطىء :
فالريح والبحــار عســيرة ،
اذ يمكن لنا أن نكون هنا احرارا .
هنا نستطيع أن نجلس مستعرضين عنـءهما
الذي يرحل في الاعماق ،
فنقضي النهار كله مبتهجين ،
والليل نمضيــه نائمــين .

هناك نتوقف أن نحب بفرس الكلدر ونبدأ بالطيران مع بجاسوس(٤) فالحقيقة أن الناشيء المتشاعر الواعد لا يستطيـع أن يفعـل أفضـل من رصف هذه المقطوعة في ذكرنه ، وليس من الضروري أن يضعهـا أمامـه كنموذج يحتذيه ، بل أن يحتفظ بها كمحك للاختبار الى جانبه•

ان الاسلوب والحركة متماثلان ، انهما كاملان • انهما مؤلفان ، على الاغلب ، من الكلمات العادية ، وهما أيضا خاليان من شوائب النثر ، ومهما كانت السماء عالية فان" فن الشعر يستطيع أن يصعد اليها ، ولن تغيض هي به على واثق أو جناح خفيف •

قلـت هما كامـلان • ولاشيء فوق الكمال يطلب من أي شيء : ولكن الشعر مؤهل لأكثر من هذ، • ولذلك فالمتوقع منه هو أكثر من هذا • هناك مفهوم للشعر الذي لايؤدى بلغة نقية ونظم سلس ، ومع البساطة فان المتعة التي يعطيها ماصحة اللون اذا جاز هذا التعبير الا أنه ضمنيا يقتضي أن يكون فيه حضور مثير ومؤثر بطريقة خاصة ومميزة • ضعوا بجانب مقطوعة دانييل(٥) هذه الاسطر لبروس(٦) أو أغنية لوغان(٧) :

أيها العصفور الجميل ، ان عريشتك خضراء أبدا ،
وسماءك صافيـة أبدا ،
فأنت لا تعرف الأسي في تغريدك ،
وفي سنتك لا يمر شتـاء •

ان" عنصرا جديدا يتسرب فيها ، هو مسحة من عاطفة • وأعتقد أن وظيفة الشعر الخاصة ، هي أن تنقل العاطفة ، وليست هي نقل الفكرة الا بمقدار ما تجعل في احساس القارىء اهتزازا يتوافق مع ما أحس به الكاتب • حتى حيثيكون الشعر شديد الجمال ولا جذابا في شكله الظاهري ، كما هي الحال في أسطر جونسون التالية(٨)

ان" فضائله تسعى في نطاقها الضيق ،

لا تتوقف ، ولا هي تترك فراغا ،

ومن المؤكد أن السيد الابدي لم يجد له موهبة

يحسن التصرف بها الا هذه الموهبة ،

ويمكن أن يمتلك بعد الفضيلة نفسها ويستخرج عبارة مماثلة •

علاوة على هذا ، فانني لن أتسلق الآن سلم الشعر • بل انني احترت هذين المثالين اذ يمكن أن يعتبرا متواضعين ، ويمكن أن يحتويا ، ولو بصعوبة ، أكثر من الوعد الذي على الشعر أن يحققه • فهنا ، في هذين المثالين ، لا تحليق أو فخامة أو انفعال • ان ما ينقلانه ليس مملوءا بالفرح ولا هو مغرق بالرعب، انه لا يطرق القلب ولا يهز النفس ولا هو يحمل النفث بعيدا • الا أنهما شعر ، رغم أنه ليس شعرا ساميا ، بالمعنى السامي المعروف •

ان ° دونكان يرقد في قبره(٩)
مرتاحا بعد حياة من الحمى المتشنجة ٠
وحتى بالنسبة لذلك الشعر فانه لا يوجد اسم آخر ٠

لقد قلت بأن° المعاني الصحيحة لكلمة الشعر هي نفسها التي عقدت الى درجة كبيرة مناقشة طبيعته ،ان° أوجه الاسباب هي أن نبعد الرديء المشوش الذي حر°ف الاصطلاح غير الملتزم بالقواعد الصارمة ، وأن نضيف اما الاشياء المتباينة التي كانت سبقا بأسمائها الخاصة ، واما أن نخترع للاشياء الجديدة أسماء جديدة ملائمة ٠

لقد مر° عصر كامل ، ومكانة الشعر في اللغة الانجليزية محتلة بشيء مختلف جدا ، استولى على الاسم الرئيسي والدقيق للعقل : العقل ليس بمعناه الحديث ، بل بحسب تعريف جونسون(١٠) ، « تركيب صور متباينة ، أو كشف متشابهات خفية في أشياء غير متشابهة ظاهريا » ٠ مثل هذه المكتشفات ليست شعرية بأكثر من الجناس اللفظي ، ومثل المتعة التي يعطيها هذا الشعر هي متعة عقلية خالصة، وعقلية مستهترة ، الا أن هذه كانت متعة الفكر بالدرجة الاولى وكانت في قصائد أهل الفكر لمدة خمسين سنة وأكثر في القرن السابع عشر ٠

وكان بعض الكتاب ، الذين قدموا هذا لمعاصريهم ، شعراء معتبرين بطريق الصدفة ٠ ومع أن شعرهم كان بصورة عامة متنافرا ، وكأنه ظاهريا قد قطع الى أطوال ثم جمع ، بوساطة رياضيين مختصين صم،

في حزم كالقضبان، فان بعض ذلك الشعر كان جميلا وفائقا . ولكنهم لم يكونوا مفتونين هم أنفسهم بهذا الشعر، ولا حاولوا أن يفتنو به غيرهم . كانت الاستعارة والتشبيه ، وهي أشياء غير جوهرية في الشعر ، تستحوذ عليهم استحواذاً كبيرا ، وبقدر ما تكون نسبتها كبيرة في أشعارهم ، يمتدح ذلك الشعر . ولم يكن قصدهم من هذه الاشياء الثانوية أن تساعدهم في الشعر ، أن تجعل معانيهم واضحة ، او أن تجعل تصوراتهم أشد حيوية ، بل انهم تهالكوا عليها لوجه الزخرفة ، وظنوا أن للصورة قوة مستقلة في الارضاء : على مواضيعهم أن تفزع مجدنها وأن تسلي بعبقريتها الجمهور ، الذي كانت رغبته الوحيدة أن يراع وأن يسلى . ان المتعة ، مهما كانت مترفة ، هي في أن يسمع مثل هذا الوصف لعيني القديسة ماري ماجدالين :

هما حمامان ماشيان ، هما حركتان تبكيان
هما محيطات مصغّرة ولكنها متنقلة ،

ان هذه ليست متعة شعرية ، وأن يكون الشعر كرقعة العنوان التي تلصق على البضاعة ، فانه غير مناسب.

علينا أن نتناول الموافقة بحذر شديد عندما نريد أن نعطي للشيء الذي نعجب به كثيرا ،سما شريفا لكي نستطيع أن نبسط فيه لساننا كشيء جديد . يجب أن نحترس أن نعامل كلمة شعر كما يعامل الكيميائيون كلمة ملح . ان الملح مادة بلورية تتميز بطعمها ، واسمها

قديم بقدم اللغة الانجليزية ، وهي ما يقتنيه الشعب الانجليزي ، الذي يعرف ماذا تعني ، ولم تكن هذه المادة من ممتلكات العالم الخاصة الا لمدة تقل عن الثلاث مئة سنة ، اذ احتاجت الى اصطلاح يجسد مفهوما جديدا ، هو « حمض له كل هيدروجينه العائد اليه من الفلز أو جزء منه » ، وبذلك هيأت نفسها بنفسها بسطء لكلمة ملح القديمة التي كانت غير ملائمة ، بدلا من استنباط اسم جديد ملائم .

ان المثال الصحيح للمشابهة هو أن ذلك الكيميائي ، عندما قوبل ، أو خيل اليه أنه قوبل ، بشكل لمادة لا اسم لها ، لم يسرق لها اسم شيء آخر ، وانما اخترع من رأسه الاسم الذي ظن أنه يلائمها ، وبذلك أثرى مفردات الانسان الحديث بكلمة غاز المفيدة .

واذا ماطبقنا كلمة شعر تطبيقا عمليا ، سواء في الشكل أم في المضمون ، على الموضوع الذي لم يشابه حتى الآن أي شيء مما سمي به ، فاننا لانسيء الى اللغة ونحرفها وحسب ، بل لعلنا نتهم بالازدراء والتجديف . ان كلمة الشعر يمكن أن تعني أيضا الموضوع الذي نحن بصدده : الموضوع ، وهو بلاشك شيء مختلف ، يمكن أن يكون شيئا رفيع المنزلة . لما أمطر الرب الخبز من السماء لكي يأكل الانسان طعام الملائكة ، وشاهد أطفال فلسطين شيئا صغيرا مستديرا على أرض البرية ، وهو بقدر مايكون قرن الجليد ، لم يسموه السلوى ، بل ارتفعوا الى مستوى الحدث وقال بعضهم لبعض « هو المن » .

ومثل هذا الشيء أيضا كان الشعر المزيف ، شعر مزيف مصنوع عن تدبر وقدم بديلا • وأكبر مثال تريخي عليه في اللغة الانجليزية ، شعر معين أنتج بغزارة واستقبل بالتهليل من الطبقات العليا والدنيا ، بما سمي تساهلا لاغراض أدبية بالقرن الثامن عشر • وهذا القرن لم يكن مجرد مئة سنة بدأت اتفاقا وانتهت مقسمة الى فترات محددة وانما هو فترة طويلة متواصلة وحقيقية ، الفترة الممتدة ما بين سامسون اغونستس(١١) سنة ١٦٧١ ، وبين القصائد الغنائية(١٢) سنة ١٧٩٨ شاملة كجزء متحد وبتأثيرها الفعال أعمال درايدن الناضجة(١٣) •

وكان ماتيو أرنولد(١٤) منذ أكثر من خمسين سنة قد أصدر ، بصدد تقييم وردسورث وكوليردج(١٥) الرديء لشعر القرن الثامن عشر ، هذا التحذير « ان دلائل كثيرة تشير الى أن القرن الثامن عشر وأحكامه تعود الى الاستحسان مرة ثانية » • وكلما ذكرت ذلك لنفسي أتأكد أن ذلك لن يكون أبدا ، وانما عليك أن ترى كيف يكون النقد الادبي •

وقبل سنوات طيبة من هذا الحين نشأ ميل قوي لتعديل ذلك الحكم الذي أصدره القرن التاسع عشر على شعر القرن الثامن عشر وليظهر أن ذلك الحكم الذي حط من قدره لم يكن أكثر من تعبير عن كره لنوع من الشعر مخالف لشعره الخاص •

تلك فكرة خاطئة • ذلك أنها تضع قيمة منحطة لشعر القرن الثامن عشر ، ليس لانه يختلف في النوع عن شعر القرن التاسع عشر ، بل

لانه حتى في الجيد منه ، يختلف بطبيعته ، كما أن شعر القرن التاسع عشر الخاص لم يختلف بالجيد منه ، عن شعر تلك العصور كلها ، سواء لحديث أو القديم منه ، وسواء كان انجليزيا أم احنبيا ، ونقصد بالعصور ، تلك التي اعترف لها أنها من عصور الشعر العظيمة . أن يأخذ شعر القرن الثامن عشر بذلك المعيار ، حتى عندما لايكون رديئا ، وحتى عندما يكون جيدا ولاعيب فيه ، فان ذلك حكم مقتضب قاس .

ان أدب القرن الثامن عشر في انجلترا رائع وأكثر شيء متعة . لقد اجتمعت له قوة كبيرة في الجودة أكثر من أي فترة سبقت أو تلت ، ومع أن مهمة ذلك العصر الخاصة ومأثرته المميزة ، كانت أن يخلق نثرا قويا ، سليما ، وبارعا ، ويؤسس ذلك النثر ، ليخلف نثر ميلتون(١٦) أو جيرمي تيلور(١٧) الثقيل والمزخرف والدال على العجب بالنفس ، ليصبح الوسيلة المعتمدة في التفكير الدقيق والسعي الجدي وراء الحقيقة ، مع ذلك فقد وجدت روائع في الشعر أيضا ، وربما لم توجد قصيدة انجليزية في الشعر الغنائي الطويل أكمل وأتم من خصلة الشعر(١٨) ، لاحكاية القس لبوني ولا الملاّح العجوز(١٩) .

الا أن الملكة البشرية التي سادت القرن الثامن عشر وشكلت أدبه كانت العقل ، وذلك مااقتضى ، حسب تعبير أرنولد ، « شيئ من الكبت للشعر واخراس صوته » ، « شيئا من التجمد في حياة الروح المتخيلة » .

لقد توقف الانسان أن يعيش بأعماق طبيعته ، قصر نفسه على

اختيار الافكار التي لاتمتد الى موراء جو الادراك ، أشعل شموعا وأسدل الستار ليحجب القمر ، راعى الشعراء • ان كتابة الشعر استمرت ، وكثير من الشعر الذي كتب كان أدبا ممتازا ، غير أن الأدب الممتاز الذي هو شعر أيضا لم يعد ذلك الحين شعرا ممتازا ، وكان شعر القرن الثامن عشر أكثر ارضاء عندما لم يحاول أن يكون شعريا •

ان شعر القرن الثامن عشر كان ، بالحقيقة ، اسما لشيئين مختلفين ، عليهما أن يظلا واضحي المعالم • لقد كان هناك مادة يومية جيدة وسليمة ، أبرزت ابرازا كافيا كل ماهو قيم وجدير بالتقدير رغم أن ذلك لم يكن مهمة رفيعة • ان الهجاء ، المشادات ، والسخرية ، التي انجز اليها القرن الثامن عشر بكتابة عباقرته ، والتي كانت انجازاته فيها لاتبارى ، كانت أشكال الفن التي كان فيها الشعر السامي في غير محله ، والتي اليها ، ان لم تقدم بتقتير شديد ولباقة ، يعود الضرر والتشويه بالفعل • وخاتمة دونسياد(٢٠) يمكن أن تعتبر فائقة الى حد ما ، لولا أن هذه العبارة قد استبقيت الى الخاتمة لحكمة• ان النزر اليسير من العنصر الشعري الذي يمكن أن يتلاءم معه الهجاء بسهولة هو مانجده بنوع ما في مثل هذه اسطور :

الأغنياء،مثل الحشرات،اذا ماأرادت أن تخفي،تلبد بالارض،

انها تنتظر أن يصير لها أجنحة ، وفي فصلها المناسب،تطير •

من ير شيطان الجشع الشاحب في وسط دكانه

فانه لايرى الا القهرمان الخجولَ الموكل بأمر الفقراء :
هذه السنة للاختزان ، توفر وتدخر ،
والسنة التالية ، ينبوع ، يتفجر ويجري في ورثته ،
جداول زاخرة تطفيء ظمأ البلاد ،
والناس والكلاب سيشربون حتى يتفززوا

فأي كلام أصيل هذا الكلام ! الا أن مثل هذه الكتبة ، التي كانت مثار اعتزازهم الحقيقي وينبغي أن تكون مصدر فخرهم الرئيسي ، لم ترض الكتاب • بل انهم ، برغم كل ذلك ان هذا الشعر لم يصنف بما يعادل شعر العصور الاخرى ، ولاهو أدى مفهوم الشعر الذي كان غامض الحضور في أذهانهم ، ولذلك طمحوا الى شيء أبعد مايكون عن الابتذال •

ان النعامة بالنسبة لتكوينها الخاص هي أسرع الاشياء المخلوقة • انها تزري بالحصان وبراكبه، ومع أننا أخبرنا أن الله حرمها من العقل، ولاهو منحها أي مقدار من الادراك ، ولكنه لم يقدر لها ، في أي حال ، أن تشعر بما يكفي لتعرف أنها لم تكن قبرة أو صقرا •

وفيما يخص شعراء القرن الثامن عشر ، فان الشعر السامي والمتقد العاطفة ، لم يأت تلقائيا ، لان المشاعر التي رعت ولادته لم تكن عندئذ وافرة ولا هي ضرورية في داخل الانسان ، ولذلك فقد شدوا أوساطهم وحاولوا أن يجروا الى أبعد من الحد المألوف باستحضار

الطمـوح ٠

والطريقة لتكتب شعرا حقيقيا ، حسب رأيهم ، هي يجب عليك أن تكتب شيئاً مايشبه النثر بقدر الامكان ٠ ولهذا الفرض فقد اخترعوا مسموه « العبارة الصحيحة والاسلوب الفخم » ، التي تتألف دائمـا من استعمال الكلمةالخطأ مكان للكلمة الصحيحة، وتلصيق ذلك كزخرف، دونما تفكير بالموافقة ، على أي شيء يرغبون أن يبجلوه ٠ وقد سيطـر هذا الاتجاه ولم يعد من السهل أن يخطأ ، مما جعل الرأي العام يربطه حالا بمفهوم الشعر ومع مرور الزمن اعتبر وحده المفهوم الشعري(٢١) ٠

وكان في الواقع متسما بالابهة وبالفقر الشديد في وقت واحد ٠ كان محدودا جدا ، بسبب الاختيار المفروض ، كان معجميا ، وبالتالي غير متكافىء مع مهماته المتعددة وتفكيره الدقيق ٠ انه لم يستطع أن يصف المواضيع الطبيعية بالاحساس الدقيق للطبيعة ، ولم يستطـع أن يعبر عن المشاعر البشرية بتنوع ورهافة تتجاوب مـع مافي نفوس البشر من مكنونات ٠ انوسيطاجافيا ، كثيفا ، جامدا ، يتدخل بـين الكاتب وعمله ٠ وكان لهذا الاخفات في اللغة نتيجة أبعد من جوها الخاص : ذلك أن تأثيرها يعمل في الداخل ، والادراك الحسي ميت ٠ ومالم يعد يوصف فانه لم يعد يرى ٠

ان قسمات الاسلوب وتشكل بنيته يمكن أن يدرس تحت ضوء قاس في ترجمات درايد نمن تشوسر(٢٢) ٠ ان حكاية فـارس بالامـون

وأرسايت لم تكن أكثر قصائد تشوسر نجاح وتميز : انه لم يكـن مطلعا اطلاعا كاملا ،كما في الاستهلال وفي حكاية شونتيكلير وبيرتيلوت، وحركته بطيئة تـفهة . ترجمة درايدن تظهر درايدن في نضوج قوتـه وبراعة عمله ، ويمكن أن يعجب في كثير منها بصدقه وباتزانه . لقد كان مدركا لتفوق تشوسر الخاص : كان من الذكاء بحيث لم يغير مثـل هذه الاسطر « بنهوض الشمس نهضت اميلي من نومها » أو « شاهدت هناك من كان يذبح نفسه » ، أدرك أنه لايستطيع هو ولا غيره أن يأتي بأفضل من هذا .

ولكنه بذل محاولات كثيرة في حالات متشابهة أن يحسن ، لانه ظن أنه يستطيع ذلك .واعتقد ، كما يقول هو نفسه ، أنه كان « يحول بعض حكايات كانتربوري الى لغتنا ، مهذبة كما هي الان » ، ومرة أخرى يقول « ان الكلمات تترك كموقع لايمكن الدفاع عنه عند شاعرنا ، لانه يريد هنا حديثا في التحصين » ، ويقول لنا : لقد أضفت كلمات من عنـدي في بعض الامكنة ، حيث رأيت أن كلمات كاتـبي كانت ضعيفة ، لاتعطي أفكاره الرونق الحقيقي ، بسبب ضعف الكلمات في بداية لغتنا»

ولننظر الى ماسيلي . الى بيت تشوسر الحي البارز :

المبتسم والسكين تحت معطفه

فيصير هذه الابيات الثلاثة :

النفاق يقف الى جانبه ، نظرة شزراء تقية ،

ابتسامة ناعمـة ويغض من بصره حياء ،
ولكن الخنجر مخبـأ تحت معطفـه ٠

مـرة أخرى :
أسفا ، هكذا قال ، لذلك اليوم الذي فيه ولـدت ٠

هذا ما قاله تشوسر ، بسبب ضعف الكلمـات في بداية لغتنـا ٠ فجـاء درايدن ليساعده ويعطي أفكاره رونقها الحقيقي ، فيصبح البيـت هكـذا :

لعن اليوم الذي فيه أول ماظهرت ،
وليسقط من مفكرة الأيـام ،
فقد دنس ذلك الشهر الذي كان فيه واسم السنة التي كان فيها ذلـك الشهر ٠ أو هذه المرة بعد تلـك :

ان الملكة ، وقد قاربت سن النضوج
انخرطت في البكاء ، وكذلك فعلت اميلي
وكل النسوة اللواتي كن في الصحبـة ٠

فاذا كان لدى هومير أو دانتي الشيء نفسه ليقوله ، فهل يرغب أن يقوله بطريقة أخرى ؟ أما عند درايدن فـان تشوسـر يحتـاج الى الفن الحديث ليقوي موقعه ، فيطابق الابيات كما يلي :

قال ، ان الحزن الصامت استولى على المشاهدين

والملكة ، وهي (الصورة المثالية للأنوثة الكاملـة)
بسبب طبيعتها الطيبة ، زادت على الجميع ،
فبكت رقة ورحمة ، ولما أخذها البكاء
بين الجوقة المتألقة سرت عدوى التأثر فيها •
كلهم أسقط دموعه ، حتى الخادم جارتهم بذلك •

ألم تسقط على انجلترا اللعنة التي انطلقت من أشعيا ، « اجعل قلب هذا الشعب أجوف ، واجعل آذانهم صماء ، واعم أبصارهم » ؟

ذلك يقتضي أن يوجد أبدا التبلد الذي يسيء فهم هذا الاطنـاب المدخول لاجل التصحيح ويجعل الاسلوب الفخم فكرة مخيفة • والخـوف الاشد هو أن ترى هذه التجربة متدفقة باسراف ، باستمرار ، وبابتهاج واضح ، من قلم كاتب كبير وشهير بحق • ولكن الاخطر من كل هذا هو أن يعكس ذلك حتى ليظن أنه هو نفسه صاحب الاصل الاساسي • ان تصحيح تسمية اميلي بقوله « حتى الخادم جارتهم بذلك » هو مـن تصحيحه ، ورونق هذا السطر « بين الجوقة المتألقة سرت عدوى التأثـر فيها » هو أيضا من عدواه الخبيثة الخاصة • وقد أعجب حواريبوب كثيرا بهذا السطر الى حد أن ردده مرتين في الياذته •

لقد سرت العدوى بين بطانتها جميعا •
العدوى اللطيفة تفشت بين الابطـال •

انه درايدن نفسه ، عندما يتخلى عنه ذوقه الذاتي الفاسـد

وتوجيه الطموح المزيف ، يستطيع أن يكتب شعرا حتى بأجود مما يكتب نثرا ، غامسا دلوه في بئر الانجليزية الصافية ، المكشوفة ، المفعمة بالحيوية ، نفسها • هاي سعادة أن يطلب التصحيح بغير طائل وأن ينشد الرونق بالكلام الفارغ ، فتسمعه يتكلم صراحة باللغة العامية :

حتى السماوات العابسة أخذت تغير بهجتها ،
وقلب الزمن الجانب غير الصحيح من السنة •
وصار على الايام الملتوية العارية والشهور التي سقط ريشها
أن تاتي ،
واذا ما تباطأت في القدوم فلن تستطيع أن تبلغ موطنها •
من بعيد يومض دخل رتبتك الكنسية ،
وبجانب النجم وجدوا المسيح الجديـــد •

وليس هذا في بيئته من الهجاء والمشادات وحسب بل انه في هذا الكتاب انحرافي المحض ،حيث يغامر خارج حدوده • فيصدر ترجمته للزهرة والورقة(٢٢) بهذه التسعة عشر سطرا من انشائه الخاص •

الآن ، وقد انقلبت علامات الشتاء ، أخذت الشمس
مجراها الرفيع في برج الحمل ،
والأفلاك أخذت تزجي عربتها المدومة
عبر برج الثور وخلال مملكة الحب المرحة ،
حيث من مدارها تسقط الزهرة شآبيب المطـر

فتفرح الأرض وتلون الحقول بالازهار :
واذ لاتزال أوراق النبات الاولى الرخصة تتهيأ للظهور
والبراعم لاتزال تخشى الريح الاوراسية
تقف في باب الحية مرتابة أن ترتدي ثياب السة ،
الى أن تجعل الحرارة اللطيفة والامطار الناعمة المتكررة
الدم الاخضر يرقص في شرايينها ،
عندئذ تتجرأ البراعم لتلبية الدعــوة
فتنتفخ ثم تنشق متفتحة ،
وتمتد الأزهار الى مدى أوسع وأوسع ،
تحيّ الشمس القادمة وتكرم وفادة النهار ،
ثم من تنفس أرواحها تنبعث العذوبــة
تعطر الافلاك وتطهر الهواء الفاسد :
فيغمر القلب الفرح ، وبأغنية شاملة
ينطلق الربيع ويدعو الشهور المرحة أن تتقدم .

فأي جمال مفعم بالحيوية والقوة ! وأيّ طبيعة هذه !! أعتقد انني أعجبت بهذه القطعة مخلصا واستمتعت بها أكثر من معاصري بوب أو جونسون

أو درايدن ، لأنني أعيش خارج سجنهم الذي أغلقه عليهم درايدن نفسه ، ولأن أذنيّ لم تكونا متجاوبة مع نغم كورس الأسرى ، وهــم ينشدون في كنيسة السجن الصغيرة ، بل وهما تصغيان الى الموسيقى

الجامحة التي تثقل كل غصن في العالم الحر خارج الجدار ٠

ولكن حتى هذه القطعة لا تؤيد تلك المقارنة كل التأييد ٠ فعندما أشرب بارولو سترافيكيو في تورين ، لن أنزعج ، بالتفكير انه يوجد في ديجون خمر أفضل ، ولا أن اتحدث بذلك ٠ الا أنه قد وجد ، ولايزال يوجد ، شعر أجود ، لا نذكر شعر ملتون ، حتى ولا شعر اجيل المضلل والمنحرف الذي سبق درايدن ٠ على تلك الكومة الضخمة من النفايات ، يوجد لمعات مثل ، كارولين بارنسوس(٢٤) ، التي تحوي قليلا من الدرر النقية الشعاع ، على أن معظم شعر درايدن الحقيقي الخاص لاتجد فيه ، في المرة الواحدة ، أكثر من أربعة أسطر ، وفي قصيدته المبكرة ، أنوس ميرا ببليس(٢٥) ، المديمة الشكل ، والمرهقة ، نادرا ما تجد فيها أكثر من سطرين ٠

وخليفته الكبير ، بوب ، الذي كانت الياذته أشد دهشة ومثلا مغريا للاسلوب المزيف من أي عمل ذاتي لدرايدن ، وأصبحت ، كما قال كوليردج ، « المصدر الرئيسي لاسلوبنا الشعري المزيف » ، رغم أنه ترك الباب مفتوحا للآخرين على مصراعيه ، الا أنه لم يرافقهم طويلا على هذا الطريق العريض ، الذي أدى بهم الى الهلاك ٠

لقد جاء ليعترف ، وطوال العشرين سنة الاخيرة من حياته التي تقصاها بثبات ، بالميل الحقيقي لعبقريته ، في الهجاء أو النزاع : في هذين المجالين لم ينجز مقدارا ضخما ولا ميزة نادرة للشعر أكثر مما

يستوعبان ، ولاحقق ارتقاء أعلـى في المنطـاد ٠

ان موهبة بوب الشعرية أقل من موهبة درايدن ، وعلى غرار معاصريه فقد تخلص من المفردات الفقيرة ، وبالرغم من أن أكثر نظمه جيد ، الا أنه لم يصل الى ميزة درايدن المرحة في قصائده الجيدة ٠ أما الذي قربه من الشعر الصحيح فهو الحماس الداخلي المخلص ٠ ان لبوب روحا في جسده ، كان فيه ذرة من هواء ونار ، بينما لم يكن لدرايدن الا كتلة من الطين ، وكان يقدر أن يكون أنبل مما كان درايدن ٠ فهـو حتى في مرثاه سيدة غير محظوظة لم يجعل النار تتقد بلا دخان وحسب، بل جعل صدق العاطفة يملأ نفسها بالعدالة بالطبيعة وبصفاء العبارة ٠

الراهبات لايتبرمن في غرفة ديرهن الضيقة ، والقرن الثامن عشر كان مرضيا ، ما عدا قلة من الساخطين ، بما قدمـه شعراؤه الرواد ٠ وجونسون يقول : « بالتأكيد ليس من الضروري أن يجاب على السؤال الذي طرح ذات مرة ، فيما اذا كان بوب شاعرا ، وبدلا من طرح هذا السؤال كان يمكن أن يقال بطريقة أخرى ، اذا لم يكن بوب شاعـرا ، فأين اذن يوجد الشعر ؟ « انه ، يادكتور جونسون ، يوجد عند الدكتور واتس » ٠ (٢٦)

مهدك وثـير ونـاعم ،
ومهد مخلصك كان خشنا وصلبا ،
فقد كان مولده في مـزود
ومهده الوثير كان قشـاً ٠

هذا الشعر البسيط ، وله قافية وكل ما للشعر من أصول، هو شعر فوق بوب. انه يمكن أن يوجد مرة ثانية، وعند سميك بنيامين(٢٧) ياصمويل ، كأصلب ماتكون قطعة من الخشب تكون أنت نفسك .

أي شبح لطيف ، يتساقط مع ندى نيسان ،
خاشعا يدعوني الى شجرة الطقوس البعيدة ،
ومغريا يوميء الي ، أن أقترب من الشجرة المشؤومة ،
لأضفر اكليلا لرأسه أو لراسي ؟

وعندما يقلد بوب هذا ، فانه لايقترب الى أكثر من هذا الحد ،

أي شبح يوميء على امتداد ظلال القمر
يحث خطاي أن تتقدم الى فرجةٍ في غابة بعيدة ؟
انها هي ! ولكن لماذا ذلك الدم المتخثر في صدرها ، الخ ..

انني اذا ماسمعت شخصا يقول ، بتوكيد متحد ، أن بوب كان شاعرا ، فانني أتهمه بالدعوة الى تعزيز الفكر المشوش بغموض اللغة . أن يكون بوب شاعرا فهذه حقيقة ، الا أنها واحدة من الحقائق التي يؤثرها الكذابون ، لأنهم يحسنون استخدام وسائل التزوير . وأن لايكون بوب شاعرا فهذا افك ، مع أن الانسان المستقيم ، وهو يقف في رهبة يوم الحساب والبحيرة التي تلتهب بالنهار وبالكبريت من دونه ، يمكن أن يفضل هذا القول .

انه ليستحيل أن تعجب بمثل شعر بوب كما أعجب به جونسون

من كل قلبه، وأن تطمئن الى مثل هذا الاقتناع التام، دون دون أن تفقد القدرةعلى تقدير الشعر الجميل حق قدره أو حتى أن تميزه اذا مارأيته . ان اخلاص جونسون غير المحظوظ أن يحمل العالم يعرف مقدار تأثره بليسيداس(٢٨) أكسب حكمه النقدي شيئا كافيا ، ولكن ان تعتبر أيضا في استجابته للشعر الذي ، مع أنه بطريقة أو بأخرى ، كتب في القـرن الثامن عشر ،نوعا مغايرا ووجيها في عصور أخرى ، وأن تعتبر موقفـه من كولينس(٢٩) . أما بالنسبة لكولينس نفسه فقد شـعر بالتقدير والمحبة ، وكان على قلبه الرقيق أن يجعله يرغب أن يقول قولا حسنا في شعر صديقه ، لولا أنه كان رجلا صادقا ، لايستطيع أن يفعل ذلك .

ان المعوق الاول في معلجة موضوع الشعر هو ، كما أسلفت ، الغموض الفطري في الاصطلاح . الا أن سوق هذه الملاحظات قد أدى بنا الآن الى نقطة حيث تنتظرنا صعوبة أخرى ، لعلها أشد من الاولى ، في تحديد كفاءة أو عدم كفاءة الحكم ، الذي هو الاحساس أو اللااحساس بالمدرك . ألست قادرا على تمييز الشعر اذ أنا مضيت فيه ؟ ألا أملك الحاسة التي بها يفهم الشعر ؟ ان الاكثرية المتمدينة مـن النـوع البشري ، وفيهم من لايجادل بشهرتهم ، لم يفعلوا ذلك ، فمن يشهد اي أن أكون من الاقلية الذين يفعلونه ؟

يمكنني أن أعرف ما أحب وماأعجب به ، ويمكن أن أحبه وأن أعجب به اعجابا شديدا ، ولكن ماالذي يجعلني أعتقد أنه شعر ؟ هل يكون

الباعث لان أظن ذلك شيئا آخر أكثر من هذا : ان الشعر بصورة عامة يعتبر الشكل الأرفع للادب ، وأن رأي في نفسي يحظر علي أن أعتقد أن ماأحبه كثيرا وأعجب به أكثر هو شيء أخفض من الارفع ؟ أيضا لماذا ترفض أن تسلم بأنك ربما لاتستطيع أن تفهم الشعر ؟ لمذا لاتعتقد أنه من الضروري لكي تحترم ذاتك أن عليك أن تفعل ؟ ماأكثر الصالحين والعظماء ، ماأكثر القديسين والابطال الذين كانت لديهم هذه الموهبة ؟ فهل تستطيع ان تسمع زعيق الوطواط ؟ على الأغلب لا ، ولكن هل ترى نفسك أدنى بحسب ذلك الاعتبار ؟ هل تتجرأ على الآخرين ، أو حتى أن تقنع نفسك ، أنك تستطيع ؟ هل هو شيء لايطاق ، وشيء يحطم الغرور ، أن تكون بين الأكثرية ؟

اذا كان انسان عديم الحس نحو الشعر ، الا يتبع ذلك أنه لايحصل على متعة حسية من القصائد . القصائد يندر جدا أن تتألف من غير الشعر ولاشيء الاالشعر ، والمتعة يمكن أن تستمد أيضا من عناصرها الأخرى . انني مقتنع بأن معظم القراء ، عندما يظنون أنهم معجبون بالشعر ، يكونون مخدوعين بعدم قدرتهم على تحليل مشاعرهم ، وان اعجابهم الحقيقي لايعود الى قطعة الشعر التي بين أيديهم ، وانما يعود الى شيء آخر فيها ، يحبونه أكثر مما يحبون الشعر .

ولأبدأ بمثل واضح جدا . لقد أخبرت من قبل النساء الورعات بأن أشد شعر جمالا لديهن هو شعر كيبل(٣٠) . وكيبل شاعر ، وفي

مجموعة السنة المسيحية(٣١) أشياء يمكن أن يعجب بها الملاحدة ، ولكن ماهو الشيء الذي تقدره النساء الورعات في هذه المجموعة ، انه ليس شعرها ، كما يود كيبل نفسه أن يكون ، واني لأشك ، فيما لو طلب الى أي واحدة منهن أن تنتقي أجود قصيدة في هذه المجموعة ، أن ستقلب في الحال الى الاحد الثاني لعيد الفصح • ان الشعر الديني الجيد ، سواء كان عند كيبل أو دانتي(٣٢) او جوب(٣٣) ، يحتمل أن يقدر حق قدره وأن تجد طعمه المتميز النساء غير الورعات أكثر من النساء الورعات •

مرة أخرى ، فقد تأسست في القرن الماضي مجموعة من الوردسورثيين ، كما سموا • وقد قل عدد تلك المجموعة الآن ، الا أن التقدير الحقيقي لشعر وردوسورث لم تقل نسبته : وأشك بأنه قد ازداد كثيرا • ان الوردسوراثيين ، كما قال لهم ماتيو أرنولد ، كانوا يميلون الى اطراء شاعرهم بأشياء خاطئة • كانوا مأخوذين بما يمكن أن يدعى فلسفته ، لقد قبلوا اعتقاده بمبدأ أخلاقية الكون واتجاه الاحداث نحو الأفضل ، وكانوا يريدون أن يسلموا حتى بتصوره للطبيعة بأنها كائن حي حساسة ورؤوفة ، وهو تصور خيالي خالص كتصور دريادس(٣٤) ونايداس(٣٥) • والى ذلك التفوه المثير الذي يخز القلب ويدفع بالدموع الى عيون الآلاف الذين لايلقون بالا الى آرائه واعتقاداته تعود حساسيتهم التي لاتلفت النظر ، ومهما كان اعجابهم بنفاذ بصيرته العميق في الطبيعة البشرية عادلا ، ومهما كانت أفكاره الأخلاقية شريفة ، فان

هذه الأشياء ، التي كان فيها شعره محصورا ومتحد التناسق ، هي التي اختلفت عن الشعر نفسه .

عندما أمتحن عقلي وأحاول أن أتبين بوضوح مايتعلق بهذا الامر ، فانني لاأستطيع أن أقنع نفسي بانه يوجد شيء مثل هذا الذي يسمى أفكارا شعرية . ويلوح لي أن ليس من حقيقة ثمينة جدا ، ولا من ملاحظة شديدة العمق ، ولا من عاطفة تستحق التفخيم ، تقتضي أن يعبر عنها بنثر . ان أقصى ماأستطيع ان أسلم به هو أن بعض الافكار قد تسلس القياد للتعبير الشعري ، وبعضها لاتسلس ، وأن تلك التي تتلقى من الشعر التزيين الذي يمجدها ويغير مظهرها الخارجي في الغالب ، تدخل بالنوع الاول ، وتلك التي لاتتلقى من الشعر تكون شيئا منفصلا ، ويعبر عنها بالتحليل .

« أيما امرىء يحرص على أن ينقذ حياته فانه يفقدها ، وأيما امرىء يحرص على أن يفقد حياته فانه سيجدها .. » هذه هي أهم حقيقة نطق بها أبدا ، وهي أعظم اكتشاف وجد في العالم الأخلاقي ، ولكنني لاأجد فيها شيئ يمكن أن أسميه شعرا .

ومن جهة أخرى ، فعندما تقول الحكمة(٢٦) في الأمثال « ذلك الذي يخطىء معي فمع نفسه وحدها يخطىء ، وكل أولئك الذين يكرهونني فالموت يحبون » ، هذا هو بالنسبة لي الشعر ، بسبب الكلمات التي ألبستها الفكرة ، وبالنسبة للفقرة السابعة من المزمور التاسع والاربعين

في كتاب الصلاة العامة ، « الا أن انسان لايخلى عن أخيه ، ولا هو يتفق عليه مع الله » ، فهذا عندي هو الشعر المحرك الى حد لا أستطيع فيه أن أحبس صوتي لدى قراءته • وهذا هو تأثير اللغة الذي أستطيع أن أثبته بالتجربة : الفكرة نفسها في ترجمة الكتب المقدس ، « أن أحدا منهم لا يستطيع باي وسيلة أن يخلص أخاه • ولا أن يقدم لله فدية لأجله » الا انني أستطيع أن أقرأ هذه بلا عاطفة •

ان الشعر ليس الشيء الذي قيل بل هو الطريقة التي فيها يقال • فهل له عندئذ أن يفصل ويدرس منعزلا ؟ بالنسبة لتركيب اللغة مع محتواها الفكري ، ومعناه ، فهو أشد اتحادا مما يمكن أن يتخيل • فهل مثل هذا الشيء كشعر صاف غير مختلط بمكن أن يوجد ، شعر مستقل في المعنى ؟

وحتى عندما يكون للشعر معنى ، كما هو في العادة ، فانه من غير المستحسن أن يجرد منه • يقول كوليردج : « الشعر يعطي متعة أكثر عندما يفهم على وجه العموم وليس على الوجه الكامل • » لأن الفهم الكامل غالبا مايطفىء المتعة • القصر المسكون واحدة من أجود قصائد بو(٣٢) مادمنا مرتاحي البال الى العوم في الاحاسيس التي تستحضرها وغموضها متوقف فقط على فهم الاستعارة •

اننا محرضون ، أنا على الأقل ، على الانزعاج منذ أن نأخذ بفهم الاستعارة ماذا تعني بالدقة والتفصيل ، منذ أن يلوح لنا أن

باب القصر الجميل هو فم رودريك يوشـر ، وأن اللؤلـؤ والياقوت هـو أسنانـه وشفتاه ، والاعـلام الصفراء هي شـعر رأسـه ، وأن علامـات الشـرف تقيم متاريس علـى جبهته الشاحبـة • وعندما نضطر الـى الأمل ، اذ لا يبقى لنا أكثر من الامل ، أن لا علاقة للعبير المجنح بالشعر المصقول بالزيت •

المعنى مـن الفكـر ، اشعر ليس كـذلك • واذا كان ذلك كـذلك ، فقد كان للقرن الثامن عشر القدرة على أن يكتبه بأفضل مما كتبه • واذا كـان للواقع أن يقوم بالفعل ، فمن هم الشعراء الانجليـز في ذلـك العصر الذين نجد بينهم المبرز بحيث يستطيع المرء أن يسمع وأن يميز نبرته الشعرية تمييزا واضحا من اللهجة المعاصرة ؟ هل هم هـؤلاء الاربعـة : كوالينس ، كريستوفـر سمـارت(٣٨) ، كوبـر(٣٩) ، وبليك(٤٠) • وماهي الخصائص الاخرى المميزة التي اشترك فيها هؤلاء الأربعة ؟ لقد كانوا مجانين • تذكـر قول أفلاطون : « ذلك الـذي يأتي طارقا باب الشعر ، دون أن يكون في نفسه جنون آلهة الشعر ، ويظن أن المهارة ستجعل منه شيئا يؤهله لأن يدعى شاعرا ، سيجد أن الشعر الذي نظمه باحساسه المتزن هو ، بكل مافي الكلمة من معنى ، مـن شعر المجانـين »•

أن لايكون الفكر منبع الشعر ، فذلك مما يمكن أن يوقف انتاجه عمليا ، وذلك لايمكن حتى من الثقة بتمييز الشعر عندما ينتج، وأصدق

حال على هذا هي حال سمارت ، اذ أن لا الجائزة التي أوجدها ريف، توماس سيتون في هذه الجامعة ، ولا الخصائص الخمس لمفكرين الذين تعاقبوا على هذا الكائن الفائق يستطيعون أن يحثوه على الشعر الجيد مادام هو صحيح العقل .

ان القصيدة الوحيدة التي تذكر له ، هي القصيدة التي جاءت من قبل نفسها في مناخ القرن التاسع عشر اللطيف وكانت قد استوحت واحدة من أجود قصائد القرن العشرين ، وان لم تكن قد كتبت في ولادة واقعية ، كما يقول العرف ، فهي لاشك قد كتبت اثر التحرر ، وعندما جمع القرن الثامن عشر ، قرن العقل والفكر السليمين ، أعماله الشعرية، استثنيت هذه الرائعة ك « حاملة براهين سوداوية على غرابة فكره الحديث » .

ورغم أن كوللينس وكوبر قد شاهدا مستشفى المجانين من الداخل ، فليس من المفترض أنهما كتبا شعرهما فيه ، وبليك لم يبلغ من الجنون بحيث يحبس نفسه في ذلك المستشفى . الا أن عناصر طبيعتهم كانت أكثر أو أقل تمردا على طغيان الفكر المتمركز ، وأدمغتهم لم تجلس على العرش الذي استطاع المغتصب الكبير أن يجلس عليه آمنا . وكان من الغرابة بمكانة أن يسوغ في القرن الثامن عشر ، وهو عصر النثر والشعر غير السليم أو غير المرضي ، تفجر بئر من الالهام الصافي .

وعندي أن أكثر الشعراء شاعرية على الاطلاق هو بليك • انـي أجد أن جرسه الغنائي من الجمال بقدر مكان جرس شكسبير وأشد جمالا من جرس أي شاعر آخر ، بل انني لأعلن أنه أكثر شاعرية من شكسبير ، رغم أن شكسبير أغزر منـه شعرا ، لأن الشعـر في بليـك يرجع على كل شيء آخر أكثر مما هو في شكسبير ، وعوضا عن أن يختلط بنهر كبير فانه يشرب من قناة صافية خاصة به •

شكسبير أغنى فكرا ، ولمعانيه من القوة الذاتية مايحركنا ، حتى اذا لم يكن الشعر هناك: المعنى عند بليك كثيرا مايكون قليل الاهميـة أو لاوجود له بالفعل ، ولكننا نستطيع أن نصغي بكل اهتمام الـى نغمته السماوية •

حتى شكسبير ، الذي لديه شيء كثير يقوله ، كان يهرق شعره الفاتن دون أن يقول شيئا •

ابعدي أوه أبعدي هاتين الشفتين

فانهما كاذبتان بقدر ماهما عذبتان ،

وهاتان العينان ، بـزوغ الفجر ،

تتألقان حتى ضل الصباح طريقه ،

ومع أن قبلاتي تتكـرر ،

وتتكـرر ،

تختم على الحب ، ولكنها عبثا تختم ،

عبثـا تختم •

هذا هراء ، ولكنه شعر فاتن ، وعندما يملأ شكسبير مثل هذا الشعر بالفكرة ، وتكون الفكرة أوجه ما في هذا الشعر ، كما في قوله / لاتحاول أن تزيدي الحرارة ، أيتها الشمس / أو /أوه ياعشيقتي ، أين كنت هائمة ؟ فهذه الاغاني ، وهي في قمة الانجاز الغنائي ، أعظم القصائد وأشدها تحريكا ، ولكنني لاأعرف لماذا لاأعتبرها شاعرية لابشق النفس .

ويليك الآن مرارا وتكرارا ، مثل شكسبير الآن وبعدئذ ، يعطينا شعرا نقيا ، أو مذوقا بقليل من المعنى الى حد لايستشف منه الا العاطفة الشعرية والمادة الشعرية .

اصغ الى صوت الشاعر المنشد ،
الذي يبصر الحاضر ، الماضي ، والمستقبل ،
الذي سمعت أذناه
الكلمة القدسية

التي تمشي بين الأشجار العتيقة ،
مناديا الروح المتداعية
ومنتحبا في ندى المساء ،
عسى أن يسيطر
على القطب المتألق بالنجوم ،

ويسقط ، يسقط النور من جديد .
« أيتها الأرض ، عودي ، أيتها الارض !

انهضي من العشب المندّى ،
فالليل قد تولى
والصباح ينهض من الموسيقى الهادئة ٠
لاتذهب أبعد مما ذهبت ،
لماذا تمعن في البعاد
والارضية المتألقة ،
والشاطىء الزاخر
في حوزتك حتى بزوغ الفجر ٠ »

ذلك الجلال الغامض بمكن أن يكون أقل فخامة فيما لو كان أقل غموضا ، واذا كانت الافكار الجنينية ، التي هي كل مافي المحتوى ، هي التي تكسو الشكل والصورة الشعرية ، والتكثيف الموحي نفسه داخل الفكرة ٠

أيتها الذكرى ، اقتربي أكثر
ووقعي أنغامك المرحة ،
وحينما تطفو موسيقاك
فوق الهواء
سأقف على الجدول متأملا
حيث يتنهد حلم العاشقين ،
وأترصد الخيالات عندما تمر
خلال العشب المروي بالماء

هذا لايجيب عن شيء حقيقي ، أنغام .لذكرى المرحة والتعابير الاخـرى هي عبارات فارغة ، لاشيء فيها يستطاع تخيله ، والمقطوعة لاتفعـل شيئا الا أن توقع القارىء في شبكة من متعة خالية من الفكرة والاشعار التي أنا بصدد قراءتها الان ربما كان لها معنى عند بليك ، وتلامذته يظنون أنهم يجدون ذلك المعنى ، الا أن هذا المعنى فقير سخيف مخيب للآمـال اذا ماقورن بالاشعار نفسها .

شبحي ليلا ونهـارا مـن حولي
كوحش بري يحرس طريقي ،
والفيض بعيدا في داخلي
يبكي خطيئتي بلا انقطاع .
وفي عمق لامحدود ولايسبر غوره ،
نهيم هناك ، وهناك نبكي ،
وعلى الرياح الجائعة الملحـة
يسعى شبحي وراءك ،
انه يتنسم رائحة خطاك في الثلج
وحيثما ذهبت ،
تحت البرد العاصف والمطـر
فمتى ستعودين مرة ثانية ؟
ألست غرورا وازدراء تملئين
نهاري كله بالعواصف ،

وبالعيرة والمخاوف
تملئين ليالي الممتعة بالدموع ؟
سبعة من أحبتي الاثيرين
أفقدتهم سكينك الحياة ،
أضرحتهم الرخامية شيدتها من دموعي
ومن مخاوفي الباردة المرعدة •
سبعة أحبة آخرين ليلا ونهارا يبكون
حول الاضرحة حيث يرقد السبعة الاول ،
وسبعة ثالثة يسهرون كل ليلة
بمشاعلهم لساطعة من حول مضجعي
وسبعةرابعة منالأحبة فيسريري يكللونبالخمر رأسي الحزين،
مسترحمين ومستغفرين
لكل آثامك الكبيرة والصغيرة •
فمتى ستعودين وترين
أحبتي ، والحياة لهم تجددين ؟
متى ستعودين وتعيشين ؟
فمتى سترحمينني كما رحمتك ؟

انني لست كفؤا أن أصيغ الافكار الواضحة التي يمكن أن تماثل ذلك النظم الفائق وتنسجم مع الرعشة القوية للاثارة غير المعقولة التي ترسي هذه الكلمات في منطقة ما أعمق من الفكر • واخيرا اليك هذه

المقطوعة ، الموجهة « الى المتهم الذي هو .... هذا العالم » .

رغم أنك عبدت بأسماء مقدسة

من يسوع ويهوه ، فانك لاتزال ابن الصباح
الهابط في ليلة مضطربة ،
وحلم المسافر الضائع تحت رابية .

هذ هالسطور توهم أنها لاهوتية . وأي معنى لاهوتي فيها ، اذا كان لها معنى ؟ انني لاأقدر ان أتخيل هذا المعنى ولاأشعر بالحاجة لان اتعلمه : انها شعر صرف ذو وجود مستقل ، لاتترك متسعا في لاي شيء آخر غيرها .

ان الشعر لدى معظم الشعراء ، كما قلت ، كان في حالات كثيرة أقل تحررا من ملازماته المألوفة ، من أشياء معينة اتحد معها طبيعيا الى حد يجعل تمييز هذا المزيج متعذرا . اليك هذا المثال .

آسف ، ان ذلك لن يكون أسفا ، بل هو سرور ،
والحب التعيس ، ان لم يكن مؤلماً
أن تسمع من ذلك ، أن المجد الذي يضاف
الى الجنس البشري ، فما عسى أن تكون .

ان الاحساس الذي فيه تقرأ هذه السطور مركب ، لان احدى مقوماته مستمدة من حقيقة عميقة لفكرة نفاذة .

ايضا هذه الاسطر :

بينما الحب يتذمر والعقل يغتاظ ،
جاء صوت بـلا جواب ، ـ
« ينبغي أن يأمن الانسان الهلاك الابدي ،
لان عليه أن يموت في سبيل الحقيقة » .

أكثر العاطفة التي تثيرها هذه الابيات ترجع الى نبل الفكرة العاطفية . أما في هذه الكلمات الست البسيطة المتـون ـ

الحوريات والرعاة ، لن يرقصوا بعد اليوم ـ

فما هو الذي يستدر الدموع في هذه ، وكما أعرف أنها استطاعت ذلك ، من عيون أكثر من واحد من القراء ؟ وماذا يوجد في العالم يستحق أن يبكى عليه ؟ لماذا يكون لمجرد كلمات تأثير جسدي على العاطفة اذا ما كان معنى القطعة مرحا ومبهجا ؟ هل أستطيع أن أقول لان هـذه الكلمات كانت شعرا وحسب ، ووجدت طريقهـا الى شـيء ما غامض وخفي في الانسان ، شيء ما أقدم من النظام الحاضر لطبيعة الانسان ، كبقع المستنقعات التي لاتزال تنتشر هنا وهناك في الارض المجففة في كامبردجشير .

في الواقع أن الشعر يلوح لي جسدانيا أكثر مما هو فكري . منذ سنة او سنتين تلقيت به بالاشتراك مع آخرين ، سؤالا من أمريك ان أعرف الشعر . وكان جوابي أنني لاأستطيع تعريف الشعر بأكثر مما يستطيع التربر (كلب صيد صغير) أن يعرف الجرذ ، ولكنني أعتقد أن كلينا يستطيع أن يميز الباعث بوساطة الاشارات التي يثيرها

فينا . وقد وصفت احدى هذه الاشارات بعلاقتها مع باعث آخر من قبل اليفاز التيمنايت : «عبرت روح من أمام وجهي : شعر جسدي وقفلها».

وقد علمتني التجربة ، عندما أحلق ذقني في الصباح ، أن أستمر بمراقبة أفكاري ، فكان شعرها ، اذا ماضل بيت شعر عن ذاكرتي ، يقف متصلبا الى حد أن الموسى يتوقف عن عمله . هذه الاشارة الخاصة ترافق بارتجافة تتحدر في العمود الفقري ، وارتجافة أخرى تتشكل تقلصت في الحلق وتدفع بالماء الى العينين ، وهناك ارتجافة ثالثة لاأستطيع أن أصفها الا باستعارة فقرة من احدى رسائل كيتس الاخيرة، حيث يقول ، متكلما الى فاني براون ، « أي شيء يذكرني بما يجري فيّ كالحرية » . ومقر هذا الشعور هو تجويف المعدة .

ان آرائي في الشعر مصبوغة بالضرورة ، ولربما كان عليّ أن أقول ملطخة ، بالظروف التي كان علي أن احتك بها من جانبين . لقد قلنا منذ فترة ان الشعر اصطلاح واسع جدا ، وكثير المعاني الى حد منعب هو من السعة بحيث يستغرق كتابين ، ومن حسن الحظ أن هذين الكتابين الضخمين ، ليسا من كتبي أنا . انني أعرف كيف جاءت هذه المادة الى الوجود ، ومع أنه لاحق لي أن ادعي بأن أي شعر آخر جاء الى الوجود بالطريقة ذاتها ، فاني أجد سببا للاعتقاد أن بعض الشعر ، والشعر الجيد حقا ، قد جاء بهذه الطريقة .

ورد سورث مثلا يقول بأن الشعر فيض تلقائي للمشاعر القوية . وبورنس«٤» كان قد ترك لنا هذا الاعتراف ، « لقد نظمت في حياتي

مرتين أو ثلاث مرات من الرغبة في النظم أكثر من الدافع ، ولكنني أبدا لم أوفق لأي هدف » ٠

وباختصار فاني أعتقد أن انتاج الشعر ، في طـوره الاول ، مؤثـر أقل مما هو مؤثر فيه وهو عملية الزامية ، واذا لم أكن مجبرا ، عى أن لاأعرف الشعر ، بل أن اسمي طبقة الاشياء الي ينتمي اليها فعلي أن أسميه افرازا ، سواء أكان افرازا طبيعيا ، مثل زيت التربنتين في التنوب ، أم افرازا مرضيا ، مثل اللؤلؤ في المحار ٠ واعتقد أن حالتـي الخاصة ، مع العلم أني لاأعالج هذه المادة بذكاء شديد كما يفعل المحار ، هي الحالة الأخيرة ، اذ يندر أن أكتب الشعر الا اذا كنت معتلا ، ومالم تكن التجربة ،رغم أنها مبهجة ، مهيجة ومضنية بصورة عامه ٠ واذا كان لك فقط أن تعرف ماذا تتجنب ،فانني ساقدم لك بعض الوصف للعملية ٠

أتناول قليلا من البيرة خلال الغداء ـ البيرة مسكنة للدماغ ، مابعد الظهر أقل مساهمة فكرية في حياتي ـ أرغب أن أخرج للمشي مـدة ساعتين أو ثلاث ٠ مادمت أمشي ، فاني لاأفكر بشيء خاص ، وانما أنظر الى الاشياء من حولي متتبعا تقدم الفصول ، عندئذ يمكن أن يفيض في فكري ، بعاطفة مفاجئة وغير محتسبـة ، أحيانـاً بيـت أو بيتان من الشعر ، وأحيانا المقطوعة كلها دفعة واحدة ، مصحوبين بفكرة غامضة للقصيدة التي قضي عليهما أن يكونا جزءا منها ، وليسـا

بسابقين • عندئذ قد يحل خمود لساعة أو نحوها ، ثم قد يعود الفيض تدفقا مرة ثانية •

سميت ذلك تدفقا ، لأنني ، مادمت مستطيعا أن أكمل المقطوعة ، فان منبع الوحي الذي لاينفك يقدم للدماغ هو الهوة التي كنت ذكرتها سابقا اتفاقا ، وهي تجويف المعدة • وعندما أرجع الى البيت أكتب ما اندفق الى ذهني ، تاركا الفجوات ، على أمل أن يأتي وحي أبعد مدى فأكملها في يوم آخر •

أحيانا تتم القصيدة، اذا كنت أمشي بذهن متفتح وصورة متوقعة في الفكر ، الا أن القصيدة في بعض الاحيان توشك أن تكون في اليد ، وقد أتمها الدماغ ، الذي هو عرضة لأن يكون موضوع اضطراب وقلق ، شاملا التجربة والخيبة ، وأحيانا ينتهي الامر الى الاخفاق •

يخطر لي أن أتذكر موضوع أصول القطعة التي أثبتت أخيرا في ديواني الاول • مقطوعتان ، ولا أقول أيهما ، اندفعتا الى رأسي ، تماما كأنهما برسم الطبع ، بينما كنت أعبر زاوية هامبستيد هيث بين فندق الاسبان وممر تيبل فورتشون • مقطوعة ثالثة جاءت بعد مجادبة قصيرة من شرب الشاي • وكان هناك احساس بمقطوعة رابعة ، الا أنها لم تأت ، فكان علي أن أعود اليها وأن أؤلفها في نفسي ، وهذا هو العمل المضني • لقد كتبتها ثلاث عشرة مرة ، واستغرقت أكثر من اثني عشر شهرا قبل أن أصل بها الى الوجه الصحيح •

والى هذا الوقت فلعلكم قد أشبعتم بالتشريح ، علـم الأمـراض أسبابها وأعراضها ، والسيرة الذاتية ، وتريدون أن تتركوني أتقهقر من غروتي لمناطق أجنبية من النقد الادبي • وداعا الى لابد • ومن أقول مع كوليردج انني سأمركز فكري الخالد في فترة عميقة من الارضـاء الذاتي الخانع ، بل انني سأرجع الى عملي الرئيسي مرتاحا وشاكرا •

هـوامش

١ ــ ليسنج ، (١٧٢٩ ــ ٨١) ، ناقد ودرامي الماني . كان ناقدا للمسرح القومي في هامبرغ . في سنة ١٧٧٠ كان امين مكتبة الدوق برونسويك . كان ، بلا نزاع ، اول ناقد في أورب ، يحرر الادب الالماني من التقليد الضيق للمدرسة الفرنسية الكلاسيكية ، كما كان من اشخاص التنوير البارزين .

٢ ــ نزل تابارد ، مشهد من اجتماع الحجاج من حكايات كانتربري لتشوسر ، في ساوسوارك . بقي قائما حتى سنة ١٨٧٥ .

٣ ــ وليم جلبين ، (١٧٢٤ ــ ١٨٠٤) ، كن مدرسا وقس بولدر . شهر بسلسلته ، رحلة مصورة ، وله مؤلفات أخرى .

٤ ــ بيجاسوس ، فرس مجنح انطلق من دم ميدوسا ، لما قطع راسها بيروسيوس . انفجر ينبوع في جبل هيليكون بوقع حافره . روضة نبتون أو منيرفا . بعض افترضوا ان بيلليروفون حاول ان يصعد الى السماء على بيجاسوس ، عوقب على هذا العمل الطائش ان ارسل جوبيتر حشرة تهيج بيجاسوس ليسقط راكبه . كان أثيرا لدى آلهة الشعر .

٥ ــ صموئيل دانيل ، (١٥٦٢ ــ ١٦١٩) ، ابن استاذ موسيقي ، قام بزيارة لايطاليا ، بعدها كان معلما خاصا لوليم هربرت ، ثم لآن كليفورد ، ابنة كونتيسة كومبرلاند . ذكر في « كولين كلاوت » لسبنسر . له مجموعة سونيتات بعنوان « ديليا » .

٦ ــ جيمس بروس ، (١٧٣٠ ــ ٩٤) ، قام برحلات في أفريقيا . كتب قصصا ممتعة بعنوان « رحلات لاكتشاف منبع النيل » .

٧ ـــ لاقرينة تؤكد هذا الاسم من اسم آخر اختلف بالهجئة ، فآثرت تركه .

٨ ـــ صمويل جونسون ، (١٧٠٩ ـــ ٨٤) ، ولد في ليشفيلد لكتبي في تلك البلدة . قضى أربعة عشر شهرا في اكسفورد وتركها دون أن يحصل على درجة . توفي والده وترك الأسرة في فاقة . عاش فترة في بيرمنغهام حيث ساهم بنشر مقالات في « بيرمنغهام جورنال » . تزوج إليزابيث بورتر ، أرملة تكبره بالسن ، كانت تدير مدرسة خاصة في ايديال ، ولكن الزواج لم يكن ناجحا .

دخل في خدمة ادوارد الناشر ومؤسس مجلة الجنتلمن سنة ١٧٣١ ، والى هذه كان يكتب مقالات وقصائد . ثم أخذت مؤلفاته تتوالى في مجالات عديدة .

٩ ـــ دونكان في ماكبث لشكسبير ، ملك اسكوتلندا الذي قتله ماكبث .

١٠ ـــ جونسون ، تقدم تعريفه .

١١ ـــ سامسون أغونستس ، تراجيديا الملتون ، نشرت سنة ١٦٧١ في ، الفردوس المستعاد .

١٢ ـــ القصائد الغنائية،مجموعة قصائد لورد سورث وكوليردج ، ظهرت سنة ١٧٩٨ .

١٣ ـــ جون درايدن ، (١٦٣١ ـــ ١٧٠٠) ، ولد في أبرشية الدويكل ، وتلقى علومه فيوستمنستر . قيل انه كان يعد نفسه للحاق بابن عمه الذي كان امين خزانة كرومويل . مثلت أول مسرحياته النثرية سنة ١٦٦٣ . عين شاعرا للبلاط سنة ١٦٦٨ . كتب حوالي اربع عشرة مسرحية بين سنوات ١٦٦٨ ـــ ١٦٨١ كتب قطعا نقدية اتخذت مقدمات لمسرحياته . في سنة ١٦٨٠ بدأت فترة قصائد الهجاء والاهداء . رفض ان يقسم يمين الولاء للثورة فجرد من البلاط ومن كل امتيازاته التي حصل عليها . شغل القسم الاخير من حياته بالترجمة .

والاثـر ولاخير المهم هو مجموعة تفاسير لأساطير تشوسر ، بوكاشيو ، واوفيد .

١٤ ــ ماتيو ارنولد ، (١٨٢٢ ــ ١٨٨٨) ، ولد في قرية ليلهام على ضفاف نهر التيمس . كان ابوه يدير مدرسة خاصة . ارسل ماتيو الى ونشستر ، مدرسة والده القديمة ، وبعد عام نقل الى رجبي ، حيث القى قصيدة نالت جائزة .

امضى ارنولد بضعة اشهر في رجبي في وظيفة مدرس ، ثم صار سنة ١٨٤٧ سكرتيرا خاصا للورد لانسدون . عين ارنولد مفتشا للمدارس سنة ١٨٥١ ، وشغل هذا المنصب خمسا وثلاثين سنة . قبل أن يشغل هذا المنصب كان قد نشر « المعربد الشارد وقصائد أخرى » ، الذي سحب بعد نشره . وفي سنة ١٨٥٧ عين استاذا للشعر في جامعة اكسفورد ، والقى سلسلة من المحاضرات القيمة عن ترجمة هوميروس ، ولكنه لم يحرز شهرة خارج نطاق العالم الاكاديمي حتى سنة ١٨٦٥ بنشره « مقالات في النقد » .

١٥ ــ وليم وردسورث ، (١٧٧٠ ــ ١٨٥٠) ، ولد في كوكرموث ، وكان ابن وكيل دعاوي في ذلك المكان . قام سنة ١٧٩٠ برحلة على قدميه في فرنسا ، الألب وايطاليا ، ثم رجع الى فرنسا ومكث فيها سنة كاملة ، وكانت الحركة الثورية في عنفوانها آنذاك ، وتركت تأثيرا قويا في فكره . نشر سنة ١٧٩٣ نزهة مسائية ، وقصة وصفية لجبال الألب . تلقى سنة ١٧٩٥ مبلغ تسع مئة جنيه من ميراث صديقه رايزلي كدلالة للاعجاب بعبقريته . واتصل في تلك السنة ذاتها بكوليردج وكانت صداقة قوية متطورة ، واصدرا معا « القصائد الغنائية » التي بعثت الحيوية في الشعر الانجليزي .

تزوج ماري هوتشي سنة ١٨٠٢ ، عهد اليه بمكتب توزيع الطوابع في منطقة

وستمورلاند سنة ١٨١٣ ، ودرت عليه مبلغ ٤٠٠ جنيه في السنة . في سنـوات ١٨٢٠/ ١٨٢٣/ ١٨٢٨/ قام برحلة في أوربا ، ونشر ديوانا بعنوان « مذكـرات رحلة ي اوربا » . واوحت اليه رحلته في ايطاليا سنة ١٨٣٧ ، عدة قطع نشرتفي المجلد الأخير من « قصائد السنوات الأولى والأخيرة المهمة » . استقال من مكتب الطوابع . وفي سنة ١٨٤٣ خلف ساوشي شاعرا للبلاط . لـه كتابت نثريـة بالاضافة الى الدواوين الشعرية . وكانت كتاباته الاخيرة تظهر انتلابه السياسي من ثوري الى مناوىء للحرية .

١٦ (مكرر) كوليردج ، (١٧٧٢ ـــ ١٨٣٤) ، ابن كاهن ي ديفون . اتصل بروبرت شـاوسي . كرسا نفسيهما لنوع من الشيوعيـة فكرا ان يحققاها في ضفاف سسكيهانا . تزوج من سارا فرايكر سنة ١٧٩٥ ، وتزوج ساوشي من اختهـا .

كان منذ اول سنة ١٧٩٢ الى ٩٥ يرسل قصائد الى « مورنينج كرونيكل » . وكتب « سقوط بروسبيير » مع ساوشي سنة ١٧٩٤ . اصدر جريدة « المراقب » سنة ١٧٩٦ التي لم يصدر منها الا عشرة اعداد نقط . اتصل بورد ســورث . عاش الشاعران متلاصقين في نيزر ستوي حو لي سنة .

كتب القسم الأول من « كريستابل » و « قوبلاخان » سنة ١٧٩٧ . سافر الى مالطاوايطاليا سنة ١٨٠٤ ، حتى وقع سنة ١٨٠٦ فريسة للأفيون ، كان يلقي محاضراته في المركز الملكي عن الشعر الانجليري سنة ١٨٠٨ ، وفي السنة التالية اصدر « الصديق » ، وهي صحيفة اسبوعية في الأدب والاحلاق والسياسية . امضـى القسم الأخير من حياته في بيوت أصدقائه . ظهر له سنة ١٨١٧ كتـاب

« تراجم أدبية » ، وكتب ثلاث مسرحيات ، وبالاضافة الى الشعر لـه كتابات نقديه قيمـة .

١٧ — جون ملتون ، (١٦٠٨ — ١٦٧٤) ، ولد في بريد ستريت . نـال درجة ب.أ سنة ١٦٢٩ ، ودرجة م.أ سنة ١٦٣٢ ، وهو في كمردج نظم قصائد « بمناسبة طفلة جميلة » و « في التجارب الفارغة » وبعض الأمثال والمراثـي باللاتينية ، ولكنه ضرب ضربته المميزة في « في صباح ميلاد المسيح » سنة ١٦٢٩ .

لم يتخذ أي مهنة بعد ان ترك كمردج ، بل عاش في بيوكيـز يقـرأ الآثـار الكلاسيكية مع أبيه ، ويعد نفسه لمهنة شاعر من سنة ١٦٣٢ الى ١٦٣٧ . كتب لاسيداس سنة ١٦٣٧ ، وخلال العشرين سنة التي مرت بين تاليف هاتين التطمتين وبين كتابة لفردوس المفقود . لم ينظم من الشعر الا السونيتات .

أخذ يسافر الى الخارج منذ سنة ١٦٣٧ الى ١٦٣٩ ، وبصورة خاصة الى ايطاليا . زار جروتيوس وجاليلو في السجن . وفي رجعته أصبح مـؤدب أولاد أخته . نشر سنة ١٦٤١ سلسلة كراسات ضد الاسقفية متبـادلا الجـدال مـع بيشوب هول . تزوج ابنة ابوين ملكيين سنة ١٦٤٢ على الاغلب في تموز ، ذهبت الى أهلها بعد ستة أشهر ، ولم ترجع . في سنة ١٦٤٣ نشر كراسته في «النظريـة ونظام الطلاق » التي اذاعت شهرته .

ترك تعليم التلاميذ سنة ١٦٤٧ . تحسـنت ظروفه بموت والده . نشر « حق الملوك والقضاة » بعد أعدام تشارلس الأول . ماتت زوجته الأولى سنة ١٦٥٢ ، تاركة له ثلاث بنات . تزوج بكاترين وودكوك ، وماتت ١٦٥٨ ، ثم تـزوج مـن اليزابيث مينشول سنة ١٦٦٢ ، ثم انتقل الى ما يسمى الآن بومنهيل حيث تضـى السنين الأخيرة من حياته .

انهى الفردوس المفتود سنة ١٦٦٣ ، ولكن الموافقة على نسخه لم توقع الا سنة ١٦٦٧ . قصيدته الاخيرة ، الفردوس المستعاد ، وكفاح شمشون طبعتا معا سنة ١٦٧١ . نثره اللاتيني تضمن كتاب « العقيدة المسيحية » .

١٨ ــ جريمي تايلور ، (١٦١٣ ــ ٦٧) ، ولد في كمردج . كان ابن حلاق . استلفت انتباه لاود كواعظ فأرسله الى اكسفورد . سجن في الانهزام الملكي امام قلعة كارديجان سنة ١٦٤٥ . رجع الى غولدن حيث كتب معظم اعماله .

١٩ ــ حصلة الشعر ، قصيدة لبوب ، نشرت سنة ١٧١٢ في نشيدين . ثم وسعها الى خمسة اناشيد ، وهكذا نشرت سنة ١٧١٤ .

٢٠ ــ الملاح العجوز ، قصيدة كوليردج المشهورة . اول ما ظهرت سنة ١٧٩٨ في القصائد الغنائيه ، المشتركه لورد سورث وكوليردج .

٢١ ــ دونسياد ، قصيدة هجائية لبوب ، طبع منها ثلاثة كتب بلا اسم سنة ١٧٢٨ .

ــ التخييل للمحاضر : ومن المالوف الان أن نقول ان القرن الثامن عشر صار له لغة خاصة به ومميزة . لغة كانت في السبعينات والثمانينات من خصائص الشعراء الصغار والشويعريين الذين استعملوا الاسلوب الشعري المفترض نفسه . وكان جافا وتقليديا ، وان كان غير مناف للطبيعة ، وكانت خصيصته الرئيسية الابتذال والجاذبية المتلاشية .

كما يضطجع امرؤ من فترة اضطراب
مهدهدا باغنية من سيرس وخمرها
في حدائق قرب سور بروسيرباين ،
حيث نسيت جزيرة ايان في عرض البحر ،

ولا يشكو الا شهوات الحب المنحطـة ،

وليس الا ظلال صنوبر العشاق الشاحب

بقدر ما يكون هذا المرء مسرورا أن يعرف البحر

الملح على شفتيه ، والفراغ الواسع مرة اخرى ....

وكان جو القرن الثامن عشر قد جعل شعراء مجيدين كثيرين يكتبون شعـرا اردا من هـذا بكثير :

انتظـر حيث يتفتح الزهر لساعات ؛

ويظهر موكب الزهرة الفاتـن ؛

يكشف الزهور التي انتظرت زمنا طويلا

ويوقظ السنة اللؤلؤية ـ .

والرخـام الاغريقي يسكب اغانيـه

وهكذا دواليك . هاوسمان .

٢٢ ـ جيوفري تشوسر (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) ، ابن جون تشوسر . دخل سنه ١٣٥٧ في خدمة ليونيل ، ثم دوق كلارنس . كان في الجيش الذي غزا بـه ادوارد الثالث فرنسا سنة ١٣٥٩ . أخذ اسيرا ، ثم فودي بعد فترة قصيرة .

تزوج فيليبا ، ابنة سرباين ، وماتت سنة ١٣٨٧ . ارسل في بعثة الى جينوا وفلورنسا سنة ١٣٧٢ ـ ٧٣ ، وقابل بوكاشيو وبترارك . تقلد منصبا دبلوماسيا في فرنسا ، ثم عين حاكما للجمارك في ميناء لندن وليسد ، وكان فارس مقاطعـة شير سنة ١٣٨٦ ، والى كانتربوري ذهب حاجا سنة ١٣٨٨ .

تقع كتابة تشوسر في ثلاث فترات : ١ ـ فترة التاثير الفرنسي (١٣٥٩ ـ ٧٢) ، ٢ ـ فترة التاثير الايطالي ، وخاصة دانتي وبوكاشيو (١٣٧٢ ـ ٨٦) ،

٣ ــ فترة نضوجه (١٣٨٦ ــ ١٤٠٠) والى هذه الفترة تعزى حكايات كانتربوري.

٢٣ ــ الزهرة والورقة ، قصة رمزية في ست مئة بيت ، نسبت سابقا الى تشوسر .

٢٤ ــ بارناسوس ، جبل في اليونان ، على بضعة اميال شمال دلفي . أبو لو احدى قممه .

٢٥ ــ أنوس ميرابيلس ، قصيدة لدرايدن ، نشرت سنة ١٦٦٧ . كتبت علــى غرار جوندبيرت .

٢٦ ــ اسحاق واتس (١٦٧٤ ــ ١٧٤٨) يذكر كمؤلف اناشيد مقدســة للأطفــال .

٢٧ ــ لاترينة تعينــه .

٢٨ ــ لسيداس ، قصيدة لملتون ، كتبت سنة ١٦٣٧ ، عندمــا كــان في هارتون . مرثاة تشكل ريفي .

٢٩ ــ وليم كولينس (١٧٢١ ــ ١٧٥٩)، ابن بائع قبعات في شيشستر. كان شاعرا غنائيا رائعا . ولكن لسوء الحظ مرتين ، كان مقلا في الاولى ، وضاع بعض قليله في الثانية . جن ومات في بيت اخته في شيشستر .

٣٠ ــ جون كيل (١٧٩٢ ــ ١٨٦٦) ، تعلم في كوربوس كريست كولليج في اكسفورد ، أصبح زميلا في أوريل كولليج ، واستاذ الشعر في اكسفورد . برز بكتابــة الشعر المقدس .

٣١ ــ السنة المسيحية ، مجموعة قصائد مقدسة لكيل ، نشرت سنة ١٨٢٧ . حققت شهرة واسعة بجمالها الشعري وعلاقتها بحركة اكسفورد .

٣٢ ـ دانتي اليجيري (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) ، الشاعر الايطالي الكبير ، ولد في فلورنسا على الأرجح . كان أبوه محاميا . ظروف حياته غامضة الى حد ما ، وكانت موضوع نقاش كبير . المصدر الرئيسي لمعلومات عنه ، هو « حياة دانتي » لبوكاشيو . صاحب الكوميديا الالهية المشهورة .

٣٣ ـ جوب ، أيوب الصابر .

٣٤ ـ دريادس وهاما دريادس ، حوريات الغابة في اعتقاد اليونان والرومان .

٣٥ ـ نايداس ، ترنيمة لنايداس ، قصيدة لاكنسايد ، كتبت سنة ١٧٤٦ ، ونشرت سنة ١٧٥٨ في مجموعة قصائد دودسلي .

٣٦ ـ حكمة سليمان ، الأربعة عشر كتابا المشكوك بنسبتها . ربما كانت من أصل يوناني في فترة ما قبل المسيحية .

٣٧ ـ ادغار آلان بو (١٨٠٩ ـ ١٨٤٩) ، ولد في بوسطن ، ماس ، من ابوين ممثلين . أصبح يتيما في طفولته المبكرة . رباه وحماه جون الان ، وهو مصدر تبغ في ريتشموند . حمل بو الى انكلترا وارسل الى مدرسة في ستون نيوينغتون ، وبالتدريج وصل الى جامعة فرجينيا لسنة واحدة . انضم الى الجيش الامريكي سنه ١٨٢٨ . دخل الاكاديمية الحربية ، ولكنه طرد سنة ١٨٣٢ . ولما لم تصدف قصائده الأولى قبولا فقد مال الى الصحافة . فكان رئيس تحرير لمجلات مختلفة ، منها « المراسل الادبي الجنوبي » التي نشر فيها بعض قصصه الجيدة . وبالاضافة الى الشعر والقصه فقد كتب كثيرا في النقد الادبي .

٣٨ ـ كريستوفر سمارت (١٧٢٢ ـ ١٧٧١) تعلم في مدرسة ديورهام وكامبردج . نشر ديوانين سنة ١٧٥٢ و ١٧٦٣ . يذكر بصورة خاصة بـ :

« أغنية الى داؤد » ، يعتبر فيها الملك داؤد كأعظم شاعر . مات مدينا ومجنونا.

٣٩ — (مكرر) ، وليلم كوبر (١٧٣١ — ١٨٠٠) ابن عميد بركهامبستد .

كان كاتب مقالات لمحام من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٥٢ . أصيب بنوبة ، تطورت الى الجنون وهم أن ينتحر . شفي من جنونه ولكنه عاش في عزلة ، ساكنا في بيت مورلي يونوين ، حيث وافقته الحياة البسيطة . بعد موت يونوين سافر مع ارملته الى اولني بتأثير من الخوري نيوتن . عاد اليه الجنون سنة ١٧٧٣ ، بعد ذلك انسحب عنه تأثير نيوتن ، وصار يكثر من كتابة الشعر . ماتت عنه السيدة يونوين ، فدوخل في عقله وجسمه ، وكتب قصيدة « المنبوذ » الجميلة قبل وفاته بقليل . رسائله المدهشة ، التي طبعت عدة مرات ، تلقي ضوءا على سذاجته ولطفه وشخصيته الانسانية ، وشعره يعتبر مثالا في البساطة .

٤٠ — وليلم بليك (١٧٥٧ — ١٨٢٧) ، ابن تاجر لندني للجورب والملابس الداخلية . لم يذهب الى المدرسة ، بل كان تلميذا لجيمس بارنسير ، النقاش في جمعية الاثريات .

قصائده الاولى ، وصف شعري نشرت سنة ١٧٨٣ على نفقة صديقه فلاكسمان والسيدة ماثيو . سنة ١٧٨٩ ، نشر ديوانه ، أغنيات بريئة ، التي أظهر فيها عالمه الاسطوري الفكري . عمله النثري الرئيسي ، زواج السماء والجحيم ، نشر سنة ١٧٩٠ ، وفي « الثورة الفرنسية » سنة ١٧٩١ . وفي سنة ١٨٠٤ بدأ يرسم آثاره الرمزية الاخيرة ، ملتون، و « القدس » . قصائده الاخيرة، تحتوي بعض القصائد الغنائية الجميلة .

■ اعتمد « دليل اكسفورد للأدب الانجليزي » في هذه الهوامش .

للأمانــة .... كلمــة بعــد القــراءة

عزيــزي

لايضيرني أن اعترف لك ان هذه المحاضرة ، محاضرة القيت في كامبردج فــي ٩ أيار سنة ١٩٣٣ ، كانت من أعوص ما قرأته بالانجليزية حتــى الآن .

ترجمتها لنفسي عسى ان أفهمها على حقها سنة ١٩٧٠ . لان مجرد كلمــة « شــعر » مكتوبة أو ملفوظة ، تجعل قلبي يتطلع اليها كما تتطلع نفس القط الى سمكة بأية كيفية كانت . واسمح لي ان استعمل هذا التشبيه ، لانني ما رأيت شيئا يشبه ولعي بالشعر الا ولع القطط بالسمك . فان أرى كتابة تعنون بكلمة شعر ، ولا اقرأها لحس كالشوك في راسي وكسوء الهضم في معدتي ، وان اقــرأ تلــك ولا افهمه على وجهه ، احس كشوك الصبار في اللســـان وكالرشح فــي الحلــق .

بعد الفراغ من الترجمة اعدت قراءة الاصل مرتين . عندئذ سولت لي نفسي ان ابيض الترجمة لأضيفها الى ما لدي من ترجمات انجليزية . ولكن التبييض ، الذي كان سنة ١٩٧٢ ، كان اعوص من الترجمة الاولى .

عدت الى الاصل كاني أقرأه لأول مرة . انذئذ سنة ٧٨ الى ترجمته مرة ثالثة . ولما أخذت أضربها علــى الآلة الكاتبة ، استطيع ان اعتبر ذلك ترجمة رابعة فالــى أي حد وفقت في هذه الترجمة ؟

في كل ما ترجمته ، قبلها وبعدها ، استطيع أن أضمن فيه ٩٥ ٪ من الصحة ،

فهل اضمن لك مثل هذه النسبة ، في محاضرة لاتزيد من خمسين صفحة من القطع الصغير ، لا اقول بأن خمسين خطيئة تحتلف صمراً ، الى حد لاتكاد تذكر ، وكبرا ، الى حد لاتغتفر ، قد وقعت ، ولكني أؤكد لك بأن ثلاث جمل انسحت علي حتى الابهام .

ستلمس خلال القراءة ، اذا قرأتها قبل هذا الاعتراف ، ان الجمل المعطوفة بواو العطف كثيرة .. هكذا هو الاصل ، ولما كنت التزم بالأصل حرفيا ، فقد تقيدت بهذه الواو الى حد ضجرت منه .

وجه الصعوبة في الترجمة أن النص محاضرة ، وعلى من يترجمها أن يكون متمثلا للأدب الانجليزي ، في القرون السابع والثامن والتاسع عشر ، كما كان صاحبها . وصحيح انه سبق لي أن ترجمت « كتاب اكسفورد للشعر الانجليزي » واكثر من نصف « تاريخ الادب الانجليزي » لكازميان منذ الستينات ، ولكن هذا لايعني أني تمثلت الادب الانجليزي ، ولاتنورت فيه الى درجة ان امشي بلا عثرات .

لماذا اذن أوردت نفسي هذا المورد ؟ قلت لك ان مجرد كلمة شعر تفرض نفسها علي . وزاد في هذا المرض نفضات من سخرية في اسلوب المحاضر . والسخرية في الكتابة تشدني اليها كما يشدني المزاح يصدر من امرأة . السخرية هي حسة الكتابة السادسة ، مثلما المزاح هو الحاسة الاولى في المرأة . اني اكره التزمت والترصن في الكتابة ، بقدر ما أستوحش من هذه الصفات في المرأة .

واضافت « ملزمة » أخرى لشدي الى المحاضرة ، هي انني لم اقرأ في مثل

هذا الموضوع شيئاً آخر ، الى درجة اعتبرت فيها المحاضرة جديدة علي ، جديدة في محاولة تعريف الشعر ومعرفة طبيعته ، لعل ذلك يضيف شيئاً الى تعريفنا ، نحن العرب ، للشعر ، وبخاصة اننا في فترة تمحـى فيها معالم الشعر ، ويضيع كما تضيع المياه القلية في جوانب نهر واسع .

وبالمناسبة اطلعك على طريقتي في الترجمة . انني لا اترك كلمة واحدة من النص الأصلي . اترجم بالكلمة وبالجملة لا بالمعنــى ، واحرص كل الحرص أن انقــل خصائص أسلوب النص الاصلي . نقل خصائص الاسلوب أساسي كنقل المعاني تماما .. لا اضيف كلمات من عندي كما اضاف درايدن على تشوســر .

عندما حدث بعض قصائده بعد أن امتنت اللغة الانجليزية بالالفاظ ، وهذا ما اخذه المحاضر على درايدن .

ثانيا ، ان القواميس الانجليزية ــ العربية ، ولدي منها القاموس العصري والمورد ، هي الأخرى تترجم المفردات من الانجليزية الى العربية ، وكثــير مــن المفردات التي نحتاج الى مراجعتها في هذه القواميس لاتعطي المعـــى الدقيــق للمفردة ، وبالطبع ، نحن لم نعش في وطن هذه الاصلي ليكون لنا حس تلك اللغة الذي لاتنقله الترجمة .. ولي ان افترض في مثــل هذه الحالات النادرة ، ولكنني لا آمن الخطأ ، فالمترجم ، في نظري ، مربوط الى وتد ، وليس طليقا يجري على هــواه .

أعترف لك بهذا حتى تكون بينة من أمرك ، وحتى اذا مر بك شيء ترتــاب فيــه ، تقول هذا مما اشكل على المترجم ... مع كل التقدير لنفســك .

■ يوســف

الشاعر الايطالي

أنطونيو أوزناتو

في مجموعته الشعرية الجديدة صلاة من أجل مصات

○ ترجمة : د. عيسى الناعوري

الصديق الشاعر الايطالي أنطونيو أوزناتو ، شاعر شاب من جزيرة صقلية ، عرفته في مدينة باليرمو ، عاصمة الجزيرة ، على أثر تسلمي شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة باليرمو ، عام ١٩٧٦ . وقد زرته في منزله هناك ، وأهدى الي مجموعتيه الشعريتين الاوليتين ، ومجموعة ثالثة بالفرنسية تشمل ترجمات لقصائد مختارة من المجموعتين الايطاليتين .

كان أوزناتو حينذاك يتلمس طريقه الى حيث يصبح واحدا من شعراء ايطاليا المعروفين ، وكان ما يزال على أول الدرب ، يكتب الشعر بالايطالية ، ويكتبه بالعامية الصقلية كذلك . وكانت احدى مجموعتيه بأكملها بالعامية الصقلية ، وعنوانها « Vulissi cantar » أي : (أريد أن أغني) ، وكانت الثانية بالايطالية ، وعنوانها (La sera respira) أي (يتنفس المساء) ، وقد صدرت هذه عام ١٩٧٤ وصدرت الاخرى عام ١٩٧٥ . وأما المجموعة الفرنسية

المترجمة عن المجموعتين فعنوانها (Paralleles Chemins) أي (الطرق المتوازية) .

وانطونيو أوزناتو يعمل قاضي صلح، ولكنه يكتب الشعر في أوقات فراغه.ولعل عمله في القضاء يتناسب تماما مع نزعته الشعرية،ويساعد على تحقيق ما في نفسه من نزوع الى الخير والعدالة وتبادل المحبة بين الناس . وهذه المعاني هي، في الواقع، من أهم ما تدور عليه قصائده ، سواء منها ما كان في مجموعتيه السابقتين، وما في مجموعته الجديدة ، التي صدرت في أواخر عام ١٩٨٠ ، وجعل عنوانها « Padre Nostro per un cavallo » أي (صلاة من أجل الحصان) .

ونحن نلمس نزعته الانسانية بشكل خاص في قصيدته « أخي الأسود » ، من مجموعتيه الاوليتين ، وفيها يقول :

أخي الزنجي ، ان أغنيتك لا لون لها
ولكنها تلامس قلبي .
وليس عرقك أسود ، ولكنه
يسيح على جلدك
الذي لا يرى فيه أخوك الأبيض غير السواد .
أخي الزنجي ، في مدينة تنداري
صليت أنا أمام تمثال أسود للسيدة العذراء .
فصل أنت أيضا أمام عذراء بيضاء

لعل قلب أخيك الأبيض
يصبح أقـل سوادا (١)

لقد حدثني أوزناتو في لقاءات متكررة لنا في باليرمو عن رغبته في أن ينتقل من محكمة الصلح التي كان يعمل فيها حينئذ ، ليصبح قاضيا للاطفال والاحداث ، لأنه أميل الى التعامل مع أصغار سنه مع الكبار • وهو يجد في الصغار براءة وعفوية وقلوبا طيبة يسهل عليه ، ويروق له ، التعامل معها ، ويرى في اصلاحها اصلاحا للمجتمع من أصوله الاولى • وهذا أيضا دليل آخر على نزعة أورناتو الانسانية ، وايمانه بتحقيق العدالة بين بني الانسان •

والحقيقة ان مجموعته الشعرية ـ وهي تتسم بكثير من النضج ومن غنى الشاعرية ـ مليئـة بالقصائد المعبـرة عـن نزعـة أوزناتـو الانسانية ، وعن ألمـه الشديد لما يراه من تفريق بين الانسان والانسان، ومن محاولات الانسان تشويه الطبيعة ،ومن ركضه القلق وراء الاختراعات المؤدية الى الكوارث ، والى الجناية على الانسان وعلى الانسانية •

ولعل قصيدته الأولى في هذه المجموعة ، ومن عنوانها أخذ عنـوان المجموعة كلها ، وهي : (صلاة من أجل حصان) ، من أبرز الأدلة على ذلك ، فهو يقول فيها :

---

(١) انظر كتابي « مختارات من الشعر الايطالي المعاصر » المطبوع في دمشق عام ١٩٧٨ (ع . ن)

... واليوم ، في أيام الصيف الساطعة بالنور
أصبح الانسان يحب الخيول الفولاذية
التي تقـوده ،
نشـوان بالقلـق ،
نحـو أفـاق الخديعـة والمصائـب .

حتى مياه السين الجاريـة في صمت وهدوء ، يراها الشاعر دموعا وبكاء على تعاسة البشرية ، فهو يقول :

نهر السين يبكـي تعاسـة
هـذه البشـريـة
وتجـري دموعه بطيئـة
تحـت جسـور باريـس .

وهو في مجموعته الجديدة يكثر من ذكر (الليل ـ والظلام ـ والسواد) دليلا على ما يعانيه من ألم لمصير انسان العصر ، الذي يجري وراء الهـم ، والمصائـب ، والقلق ، والذي لا يعـرف الحب ، ولا العدالة ، ولا الانسانية الصحيحة . فهو يقول في احدى قصائده :

أيتها النجوم ، يا فوانيس
السموات العلى ، أعيديني
الى الله ، لأن
ليلي ظلام دامـس .

وهو يرى أن حياته لا شمس فيها ، ولكن :

عندما أزول من الوجود
...ويتحول جسدي الى حجر
حينذاك ستشرق الشمس في ليلي

لقد أردت من هذا التمهيد أن أضع يد القارىء على بعض المفاتيح الاولية لقصائد الشاعر الصديق انطونيو أوزناتو . وليس من قصدي أن أحول طويلا دون استمتاع القارىء بما في قصائد مجموعة أوزناتو الجديدة من غنى شعري ، ومن جمال ، ومن روح انسانية رقيقة شفافة .

وها أنا أقدم للقارىء القسم الأكبر من قصائد المجموعة مترجمة الى العربية ، محافظا ما وسعني الجهد على أن اقدم للقارىء روح الشاعر ، ومعانيه ، وأسلوبه معا .

١ ــ صلاة من أجل حصان

في آب الغنيّ بالشمس والأشعة الشقر
كنتَ تبدو لي منحوتا على التل ،
وكنت تمضغ السنابـل
التي لم ترهـا
العيــون البشريــة التائهـة .
وكـان رفاقـك
في ذلك الحقل يأكلون التبن وحده

يوم كان الرحل منهوكا من عمل الدراسة ،
وكن يقتسم الفقر الكادح مع الكلاب ، والذباب ، والبعوض .

واليوم ، في أيام الصيف الساطعة بالنور
أصبح الانسان يحب الخيول الفولاذية
التي تقوده ،
نشوان بالقلق ،
نحو آفـاق الخديعة ، والمصائب .
أيها الحصان ، لا تشكر صاحبك البخيل
فالسنابل التي تقضمها خلقها الله لك أنت أيضا
في حين أن الانسان لا يريد أن يتقاسمها مع اخوانه
الذين يعتبرهم شبيهين بك .

٢ ـ عيـد ميـلاد في باريس

نهر السين يبكي تعاسـة
هذه البشريـة ،
وتجري دموعـه بطيئـة
تحت جسور باريس ،
وتغني كنيسة نوتردام لمولد
طفل الكتـب المقدسـة .
ان السين يسكب دموع الفرح

في هذه الليلة الباردة
التي ينيرهـا الأمـل
ليوقظ الأرض من نومهـا .

٣ -

نجني ثمار صداقة هزيلة
في مستنبتنا الضنين
وننتشي ببريق الذهب الذي يبهر العيون
ولا نتنشق عطر الياسمين .
ونظل متأهبين على شواطىء النهر
في انتظار هيكل سفينة العدو ،
فاذا بالتيار يبتلعنا في دوامتـه
التي يغذيها غرورنـا ،
الرفيق الملازم لوجودنا بأكمله .

٤ -

يا وقـع خطـواتـي ،
ويا دقـات قلـبي
ويا فراغ هذه الساعات ،
اشعلي مصابيـح
الشوق لتهدهد ليلتـي .
أيتها النجوم ، يا مصابيـح

السموات العـلى ، أعيـديني
الى الله ، لأن
ليلـي ظـلام دامـس

٥ ـ

أي معنى للحياة دون روح
تعطر الخطى الموغلة في النفايات ؟
أيتها الدودة التي تتغذى باللحم
ستكونين سيدة الوجود
اذا لم تكن روح الحياة
هي جوهر الوجود ٠

٦ ـ

عندما أزول من الوجود
أريد ان اقيم
في قبر صغير في أحد الجبال
حيث البنفسج وعشوش عصافير الدوري
ستز ّين وسادتي ٠
ستزورني هنا جذوع الصنوبر
وستحدثني عن زيتونات ّجفت
من نفاق من ظلوا

يتشدّقون بمفاوضات السلام ،
هذا الشبح الوهمي في الحياة ،
الذي تعثر عليه بين الحجرة
التي لا تترعرع فيه بذور الزمان والسياسة .

٧ –

عندما أزول من الوجود ،
وعندما يصبح الجمال من حظ الآخرين ،
وحينما يسود الصمت في الأرض ،
ويتحوّل جسمي الى حجر ،
حينذاك ستشرق الشمس في ليلي .

٨ –

أذهب الى السينما ،
ويا للطقوس الدموية .
أقلّب الجريدة ،
فيا لمسيرة الآلام !
وأشعل التلفزيون ،
ويالأمطار العنف !
وأذهب الى المسرح ،
فيا لرائحة القبور والجيف !

واجلس الى البار ،
المال هناك هو المعيار الاخلاقي !
وأصعد الى كرسي" القضاء ،
فاجد الحقد بدل المنطق والحق .
اننا في شفافية الظلمــة
نجلس فــوق الهاويــة

٩ ـ الى الفتيات مدمنات التخدير

أيهــا المحسّون الحرين في ليلة لا نجوم فيها ،
ان" جسدك الوحشي" يفوح برائحة الكبريت ،
وعينيك تحلمن بشهوات الموت .
لا تهربي من الحقيقة :
حقيقتك وحقيقتنــا معا .
ان الازقة التي تعبرينها لا سلام فيها ،
فحطّمي الحواجز ،
وطيري نحو الريح ،
لا تشربي الماء الأسود ،
واقطفي من المروج براعم الزهر .

عند ذاك فقط ستعطر شفتاك المزهرتان من جديد
مــرارة الليــل ،
في حين تبكي الضباع عند الجداول العفنــة .

١٠ ـ طريق الغد

تطير الشحارير الحرّة في الفضاء
في حين يلعب الأطفال لعبة الحرب .
ويُقرَع الجرس
ويُطوَى العلم
فوق دار البلدية ،
وترتفع الأسلاك الهوائية أعلى من
جرسيات الكنائس .
لقد أقفر الريف ،
وفي الحانة يشرب الرجل
نخب هوائي جهازه التلفزيوني
وقد أصبح هذا الجهاز راية العصر الجديد
اللا مبالي بطريق الغد ،
في حين تطير الشحارير ... في السماء .

١١ ـ

أحد المصريين يخرج من قبره ،
وفيما هو يسير على الأرض
سأل هذا العصر :
من هو ميكيلانجيلو ؟

ـ انّه صانع الاطارات لاعلانات الشوارع
القائمة في زاوية الشارع الأول !
ومن هو كانوفا ؟
ـ انّه بائع الأزهار
في الضاحية !
ومن هو أفلاطون ؟
ـ انّه كبير الحيّ !
ومن هو المسيح ؟
ـ انّه أحد أصحاب المعارض !
« شكرا يا زمن البراعة الغبية ! »
كذلك أجاب الظل المصري ..
متابعا سيره
نحو القناة الثالثة في التلفزيون !
ـ ١٢ ـ
تقرع الأجراس للمحبين
وحينما يتوّقف الرنين
يبقى غناء الحب ،
الغناء العالميّ والابديّ
الذي يظلّ حيّا بعد أن
تكون أجسامنا كأغصان الشجر ،
يجرّها نهر الزمان الماضي بعيدا بعيدا .

١٣ ـ تذكـارات تـدور

تذكارات تلفّ وتدور
كأنها الريـاح ،
وتطرق في الليـل
عـلى باب وجودي
المخـلوع .
أودّ لو أوقفهـا
غير أنني لا أجد أشباح الزمان الماضي .
لقد كان العيد قصيرا
وفي يقظتي أجـد
في رفقتـي الأخطـاء
تهدهدني في
بحـر لا رجـاء فيـه .

١٤ ـ في مدينـة تـيرنـي

في (الساحة الكبرى)
مئدة صغيرة من المرمر
باردة كالزمن العابر .
وثمّـة ابتسامة المرأة
دافئـة كشمس كاستيليا .

انّها نافذة مفتوحة على الليل الدامس .

- ١٥ -

في فجر يوم ربيعيّ
داعبني عبير الراتينج ،
واذ قطفت ثمرة
من صوبرة صامتة
في المرج المزهر ، دمدمت
غابة الصنوبر من شدّة الفرح ...
ونثر قلبها براعم وردية
حملتها الريح اليك .

- ١٦ -

أيها الحبّ ! حين كنّا صغارا
لم تكن لدينا كلمات تكفي للتعبير عنك .
والآن نحاول اللعبة من جديد ، بأن نجمع
بريد الأوهام الفارغة .
فتذهب يا قلبي الى المنفى
قبل أن تكتشف نورا
في الايّام الجديدة التي تتبعثر
في هاوية عيني المرآة !

١٧ ــ مئـــة بعـــير

قادني الليل الى غرفة الذكريات
حيث ينتظر بملء القلق مئة بعير
لأمضي بها من جديد على طريق الصحراء ٠
انني أحبّ الصحراء ، حيث لا طرق مظلمة ، ولا أزقة عمياء ،
وحيث العيون المستغرقة لا ترى غير أفكار تلبس لباس العيد ٠
في الصحراء سيرافقني ظلي
وسيقودني بيــده نحو النسيان ٠

١٨ ــ

يتساءل الانسان اليوم :
لماذا يسقط كلّ شيء ؟
ولماذا ليست المرأة حارسا
للأصــل وللحســب ؟
ولماذا ليس لله مكان في بيوت الناس ؟
هذا هو السبب في سقوط كلّ شيء ،
وانكسار ه ، وتحطّمــه ، وتهشّمـه
وتحوّلـه الى عــدم !

١٩ ــ الأخ

الأخ هو من يبتسم لك

وقد وجدتَــه لدى بائع الصحف ،
انــه من يفتح لك الباب ،
وقــد وجدتَــه في المصعــد ،
وانــه من يمــدّ لك يــده ،
وقد وجدتَــه في القطار ،
وهو من لا يدير لك ظهره ،
وقد لقيتَــه في الجماعات المختلفة ،
فكم مرّة فعل لك مثل ذلك
أبنــاء أبويك ؟!

— ٢٠

رأيت الشرّ
يتحوّل الى عُلّيق ،
والعُلّيق يثمر توتا برّيا ،
وتلك هي معجزة الحبّ !

□ □ □

سبع قصائد لشاعر التشيكي

أنطونين بارتوتشيك

○ ترجمة : عبدالغني اصطيف

الشاعر :

ولد أنطونين بارتوشيك في عام ١٩٢١ ، في « زلتافا » التي تقع في « مورافيا الغربية » ، ودرس في جامعة شارلز في براغ ، وهو يعمل الآن في « مكتب الدولة للآثار التاريخية » . له ست مجموعات شعرية هي : ـ شظايا ـ ١٩٤٥ ، و ـ المفارقة ـ ١٩٦٥ ، ـ العريزات الحمر ـ ١٩٦٧ ، و ـ رقص طائر الأمو ـ و ـ عدو النجم ـ ١٩٦٩ ، و ـ التقدم الملكي ـ ١٩٧٠ . وهو معروف بترجماته للشعر الأمريكي والفرنسي والألماني إضافة إلى مقالاته في حقل تاريخ الفن ، وفي النقد الأدبي .

□ □ □

القصائد :

ـ ١ ـ

معركة

تلك الليلة

وقفنا بصمت

تحت قبة السماء السامقة

وإذا ..

ماأسف أحدنا لشيء

فذلك اذن لحقيقة

أن الغيوم كانت تحجب النجوم

*

ولكن مع هــذا

كان المساء

مثـل

معركة انتهت

وفيهــا

مات الجنود كلهم

من أجل مليكهم

وعندما تفرقت

الغيــوم

وكشفت

النجــوم

أمر الجنرال بوتمكين

فوج جثث

أن يوارى
رفاقنا الموتى

■

- ٢ -

معنى خفي

ان تلد الهرة ثلاث هريرات
فان واحدة منها لن تكون كالاخريات
وربما كان هذا لان
مشكلة حجر الفلاسفة
قد حلت منذ زمن بعيد

*

ومعامل ما صغير منعزل
من تاريخنا ؟
ربمـا
يحطم الامل فينا
ولكنه لايمكن أن يأخـذ
آمالنا كلها

*

المعنى الظاهر لهذا اللغـو

يكمن في القيمة العددية العليـا
لوجودنـا

■

اذا ماسقطت السماء متهـارة
فاننا نبقى قادرين على تعليق آمالنا على مكان
صغير محدد
في مكن مـا
على حافة الخلـود

* *

- ٢ -

ثمة حـدود معينـة

ثمة حدود معينــة
ان يتجاوزها المـرء
معناه أن يجد نفسه
في مكـان مـا
لاتقتضيه العـادة

*

ثمة حدود معينة
انيتجاوزها المـرء

معناه أن يتبين
عبث جدل الحب والكراهية

*

وهكذا يغدو الحب
حبا عظيما لاحدود لـه •
وتغدو الكراهية
موتاً لانهايـة لـه

* *

ـ ٤ ـ

تصــــور

في زمن حقائق غير مؤكدة كهذه
حقائق غير مؤكدة كهذه
ـ مظلمة هذه الغرفة ـ
ماذا نعرف عن الضوء الكامن وراء النافذة
عن الصباح الذي سيأتي بصخب في الغد
مستخدماً وجوهنا ليدعونا بأسمائنا

*

أنتم جميعاً ـ للذين يترادف عندهم
الأذى والحيــاة ـ

أعيش

أعيش أيضاً

ـ أحمي لهبي المتواضع بكفي

كما في العصفة ـ

أفتح باب القبــر

وأدخــل

* *

ـ ٥ ـ

عــودة الشــعراء

مثل ديــدان القز

نلتقي بشعرائنا

الذين تفيلجوا لسنوات

في الحــظ العاثــر

*

لسنوات ، تألقت شمس الظــلام

وسقط الدم عوضاً عن المطــر

وبلغ مستنقع الوحــل

منــا الأفــواه

وعندئذ
في أشجار التوت الخضراء للأمـل
كان بامكان العين السريعة أن تبيّن
حركة أبدا بين الأغصان
في أيك أشجار التوت المورقــة
في شرانـق الحب
غزلوا كلماتهم في خيوط حريرية
من الكلام الصامت
ولهذا ينبغي الا نكون عــراة
عندما ننبثق ثانية
ضمن ضــوء
الواقــع

*

– ٢ –

مــوت قيصــر

في الصباح ، وقبل الفجر
تحدث الى مجلس الشيوخ للمرة الأخيرة
وفي الخارج ، في الظــلام
تخلى الناس عن هويتهم من جديد

آبدا ماكانت الشجرة خائنــة
ـ حتى بورقة واحدة ـ
الى أن سقطت

*

وحالما طعن القاتل ،
سجعت حمامة بريــة
بين الأغصان ،
بين النفس الأول للرجل الميت
والنفس التالي
أفكار الشعر في آذار

* *

ـ ٧ ـ

حديقـة في الشـتاء

لندع الافكار تنمو
كأغصان الشجر

*

ولكن ماذا لو غطاها الثلج ؟

■

جذور قلقة متصلبة
وحشد من الرجال العجائز يرتجفون
في الغابة المجاورة للجدول
وبيت مهجور
ممتلىء بالحديث المنسي

*

امض واسأل كل أولئك
الذين كانوا حضورا
عندما تفتحت الزهـرة
لزقزقة العصافـير

* *

ملاحظـــة :

القصائد مترجمة عن « ثلاثة شعراء تشيكيين » من سلسلة بنغوين للشعراء الاوروبيين المحدثين ، لندن ١٩٧١ ، الصفحات : ٩٣ — ٩٤ ، ٨٣ ، ٧٢ ، ٦٧ ، ١٠٢ ، ٨٩ ، ١٠٢ وانظر
Three Czech Poets , Pemguin Booles London , 1971 .

شاعر من فنلندا

ألمر ديكتونيوس

○ ترجمة : كمال فوزي الشرابي

ولد المر ديكتونيوس (١٨٩٦ — ١٩٦١) بمدينة هلسنكي ، عاصمة فنلندا ، من اب يملك مطبعة. بعد دراسات موسيقية وادبية في فرنسا وانكلترا وتشيكوسلوفاكيا عاد الى بلاده التي كان متيماً بحبها . يقول : « اتمنى ان اموت في وطني مع اطلالة الخريف. » أصدر على التوالي عدة مجلات كانت مجمع انتاج الشعراء والادباء المحدثين بفنلندا . وتقترب الحداثة عند هؤلاء الكتاب من التعبيرية الالمانية ومن قصائد الشاعر الاميركي ولت ويتمان .

ظهرت في بواكير اشعار ديكتونيوس الدعوة الى التمرد والقضاء على الظلم بجميع اشكاله ، وتميزت اشعاره التالية ببرامج عمل هادفة قادته الى خوض غمار السياسة والاشتراكية والتقدمية .. يقول في قصيدة له وكأنه يتحدث عن فلسطين والشعب الفلسطيني والعودة :

سنلد اولادا ليحاربوا ،
سنفسح لنا مكانا ،
نريد أن نرى بقــع الشمس
وهي ترقص ذات يــوم .

اما موضوعات المر ديكتونيوس المختارة فهي النار ، والعاصفة ، والجوع . مجد عمال المناجم في ممارستهم اعمالهم الخطرة . وتغنى بهدوء الطبيعة في بلاده وجمالها ونضارتها ، كما صور الام الطفولة المعذبة وعذوبة الاطفال ... في الخمسينات صدرت له بباريس ، تحت اشرافه ، ترجمات لاعماله الكاملة باللغة الفرنسية . وفيما يلي ترجمة اربع من قصائده :

١ ـ تألقات معتمة

تعلمني الصخرة الكبيرة الهدوء :
أن أكون وانتظر فحسب ـ
كل شيء على المدى يصير ،
كلُ شيء على المدى يزول ،
تعلمني الصخرة الكبيرة :
أن أكون وانتظر ٠

❋ ❋

ارجميني بحجارة محرقـة ،
احفري قبري في حمم حمر بلون الجمر ،
ضعي جسدي في الأرض التي تلهث
لكي تحس روحي انها في بيتها ،
نار القلب على قلب النار ،
فم الشاعر على فم البركان ٠

٢ ـ يـد البحر

ـ ١ ـ

ضعتُ
فوجدتُ يد البحر ،
وطريقه المفتوحة ابداً ،

والاشعاعات الخضر للأمواج
سرتْ ويدُ البحر ،
ما أعذب هدوء المساء ،
ماأطيب نشوة الفجـر ،
ثم تلففني وحشُ العاصفة
بين ذراعيــه ،

*

يا لَفرحي لو أكون فضالة
تسرّقُها الأعماق !
ذات يو موجدت نفسي
على الشاطىء ،
يد البحر في يــدي
وصوتي في همسه :
نحن الذين بقينا أحياء !

- ٢ -

يــد البحر
تقودُ بعذوبة فائقـة
المراكب المنحرفـة
نحو هدوء الخلجان ،

هناك يستريح الحطام المحظوظ
وفيه أسماك صغيرة ،
تهدهده ببطء
حركات الأمـواج .

٢ ـ قصيدة الى جان سيبيليوس(١)

ما من كلمة ولدت للأعمى
الذي تشعله الأنغام ـ
يرن الفرح والعذاب ـ
تغلي تيارات وحشية ـ
ويعني على المياه السوداء تـمّ(٢) بلادنــا ،
ويدق نفير الراعي .

*

الليل ، النهــار .
الينبوع الكبير العميــق .
حشود من الأنغام تغادر
ضباب القوى الأصلية
وهي غضبى
حتى التجلي .
الشمس ، القمر .

يشع الفجر الشمالي ،
المياه الهادئة
والغبطة الحالمة للموت ،
الانسان :
هذه هي الحياة ،
نضج مفعم في التكامل ،
وتؤنس الأنغام
حياة البشر البؤساء ،
وتحمل عزاء شيء بعيد
حيث يبقى ، خارج الزمن ، السلام السعيد
ومنه تفوح الطيبة كما من قلب حنون .

٤ ـ الفهد (٢)

في الليــل
يدمدم الشلال في مكان بعيد ،
ينام الفهد ،
تلحس نملة مخلبها ،
من تراه يوشوش :
أو "يصل" الصباح" ،
وترقص بـ"قع" الشمس ؟

■

لترقص بقع الشمس !
اعصار مرن ٠
وبقفزة ينطلق الفهـد
فوق الصنوبر ـ
استمع الى ضحك النجوم في زئيره ـ
وارتداده في الهـواء ـ
كسهم يشك في أعماق صدر الارض ٠

٭

٭ ٭

اشـارات :

(١) ـــ جان سيبليوس : موسيقار فنلندي كبير (١٨٦٥ ـــ ١٩٥٧) . ذو الهام ثـري ، ورحابة وقدرة على تصوير طبيعة بلاده وروح شعبه في تطلعاته الى العدل والحرية . له كونشرتو للكمـان ، وسبع سمفونيات ، وقصائد سمفونية ، وموسيقا مسرحية ، ورباعية . مـن اشهر مقطوعاته : « فنلنديا » .

(٢) ـــ التم (لا البجع كما هو شائع خطأ) : طائـر كبـير جميـل بحجم البط أو اكبـر منـه ـــ بالفرنسيـة CYGNE

(٣) ـــ الفهد أو اليغور (بسكون الغين وفتح الواو) : نمر مرقط يبلغ طوله احيانا ـــ ١٣٠ ـــ سنتيمتـرا .

مِن شعر الشباب في العالم

○ ترجمة : ابراهيم الجرادي

ان هذه القصائد المختارة لشعراء شباب من دول مختلفة ، تعطي دلالات كثيرة حول «التفكير» الجديد ، الذي يتحرر حوله شباب العالم ، الذين يمارسون كتابة الشعر ، وهي في الوقت نفسه نصصا في مكانة تؤهل النقاد هنا ، لرؤية ما وصل اليه الشباب عندنا في تجاربهم الابداعية .

انها ليست قضية موازية ، ولكن الشعر ظاهرة لاتقف عند حدود جغرافية ، والمكاسب فيه لاتحجز ضمن وقت زمني او مكاني .

ان الاختيار لم يتم الا على الذوق الخاص ، والامكانية في تصور النماذج التي تعطي مثلا عاما .

معظم هذه القصائد اخترته من مجلات او جرائد ، قليلها فقط ، اخذ من مجاميع فردية اوعامة .

والصلة الشخصية أحيانا ـ عن طريق المهرجانات الشبابية، الجامعية التي جرت في الاتحاد السوفييتي ـ كانت الطريق للوصول الى نتاج هؤلاء الشعراء .

ميزة أخرى فيما نترجم ، تتمركز في السؤال المهام :

الى اي مستوى وصلت تجارب الشباب عندنا ؟

لنقارن .. ولنبحث في الاسباب والوسائل .

ايليكو

(هنغاريا)

- **من مواليد ١٩٥٥ ، تحمل شهادة التجارة الخارجية .**
- **ترجم عن الروسية .**
- **تعترض القارىء في شعرها خصائص الحكمة الهادئة ، والبحث عن علاقات انسانية صحيحة وبسيطة .**

الحب والطبيعة والتأمل من المناطق الاساسية التي يتحرك عليها شعرها الوجداني .

* *

في الشارع الليلي ،
فانوس وخمارة .
ثمة رجل يحتضن امرأة
وهي تبكي !
تخاصما ؟
ربما !
ابتدءا خصومة مؤقتة منعاً للملل ؟
ربما !
وأنت .. أيها المدرك مابي ،
تأخذك الخطى الى البعيد .
في الشارع الليلي فانوس وخمارة .
الليل سيف يقطف الضوء من سطوح البيوت .

وفي الصباح
يقطف سيف الشمس الساطعة ،
الأوراق اليابسة عن رؤوس الشجر .
أتذكر ؟
كان فيما بيننا كالدفء .
وكنت لك : سخونة المودة .
وكنت لي : رائحة الثلج خلف النافذة !
والناس كانت في الضجيج تبحث عن أصحابها ،
وفي العمل تغادر الملل .
الناس .. ليس لنا بدونهم حياة .
فالغابة ليست لنا ،
وليست لنا الجزيرة الوحيدة ،
وأنت في الشارع لصامت ،
في الشارع الضيق فانوس وخمارة .
أين مجد تلك الساعة القديمة ؟
لا موعد بيننا ولا جواب !
الطيور ؟ أوطانها في الشجر وفي أعالي الجبال .
والأشجار ؟ أوطانها التربة والريح والمطر .
والبحر ؟ موطنه الموجة والشاطىء والجليد .
وأنت موطن قلبي والورق الأبيض والقلم .

في الشارع الليلي فانوس وخمارة ،
ثمة رجل يحتضن امرأة وهي تهذي : أحبك ،
ابتدعا لعبة ليس بدونها حياة : الحب ،
أيها المدرك مابي
قلبي فانوس وفي الصباح ستسطع الشمس ،

* *

المطـــر

وجــلا
يتساقط الرذاذ على النافذة ،
وتشع حباته فوق الزجــاج ،
وتخترق العصافير شباكه المائية ،
وكالموسيقا ينبعث صوت تساقطه الوئيــد
وترتفع رائحة الارض الى الاعلى ،
وتخضر الحقول وتسعد الروح ،
تزهو الجبال بخضرتها
وتسرع الأنهــار
أبدا
يبعث المطر الحياة ،

وابدا نحتاج للماء ،
والحب .

■

في معطف كالعشب اليابس ،
يقبل في الشارع الذي يفرق بين حديقتين .
استجدي تلك الخطوات المسرعة
أن تتمهل ،
فلربما يعرف الزمن قيمتـه
ونلتقـي .
نرسم بالألوان المتعددة حاجتنا للقاء .
وحيث لايعرف الناس
ويظهر تجافيهم
يظل صوتك حنوناً يخترق الرؤوس النائمة .
لست معنية بأوهام الآخريـن
وكما انني أحب الورد الاحمر
اريد أن يكون العالم طيباً ،
دائماً ، وفي كل مكـان
لاحرب . لاظلم . لابغضاء .
فقط ، الورد ينمو على جدران البيـوت
والحدائق تتسع للعشاق والكسالى .

وكحلم قديم ، ثمة رجل واحد يقلق ليالي لطويلة •

ويقاوم شدة الفـراغ •

قمر وظلال وثمة من يبكي على نفسه

المغدورة بك ، بالآخرين ، والحب !

شتاء ٧٤

الشتاء دافيء هذا العام
لأنـك معي •
والثلج يشبـه الأغطية
لأنك معي •
والليل •• آه كم هو قصير هذا الليل ،
لأنني معك ،
ولأنـك معي ،
ولأننا معـاً
اقتربت منك واقتربت مني
وابتدأت ساعة الوداع •
حل المساء وحل الصبـاح
وكان أن يبدأ الذي لاينتهي •

وبين « بودابست » و « كراسنودار »

كان أن ترقد الذاكرة •

لا وعد الا ماتحمل الرسائل •

آن آن يرقـد الحب !

هـن ؛

□ □ □

لينــا زوبينكــا
(الاتحــاد السوفييتي)

- من مواليد ١٩٥٥ تعمل في القفقاس ، مكان ولادتها .
- شعرها وجداني غنائي فلسفي يقترب كثيرا من اجواء ليونيد مارتينوف ورسول حمزاتوف .
- لاتسترسل ولاتحجم ، تاخذ القصيدة على يديها حجمها الطبيعي ، وفي وداعة تدخل الى قلب الانسان بالالفة والحب والتامل .

* * *

الوطــــن

وهكذا سمعتُ ماذا قالْ ،
في الليلةِ الباردةِ الأخيرهْ ،
بأنه لا يشعر الدفءَ هنا
والنارُ قربه
والنبيذُ في يديهِ
وجملُ الكلامِ في أذنيهِ
وحوله الذينَ منْ يحبْ !
وذات يومٍ قالْ :
بأنه لا يعشق الغناءَ
والناي من أصحابهِ
والالحانُ كانت ، دائماً ، صداحهْ

وكتب الشعر على الرهوف !
لقد بكى كالطفل ذات يوم ،

ارتمى على يدي كالصغير
قبلني
وضمني

وصرت لا أعرف دفء قبلة كتلك
لقد بكى كثيراً
بكى بحرقة ونام

وذات يوم قال : بأنه لا يعشق الثلج ولا الالحان
وطالما رأيته يلعب كالصغار فوقه

مبتهجاً
والناي في يديه .

وذات يوم رحل الغريب
تاركاً رسالة حزينة وراءه
ولم يعد .
هناك مثل يقول
لا شجر ينمو الا على تربته .

* * *

عليك أن تكون

في مصيرك علي أن آخذ مكاناً ،
وفي بيتك أيضاً ،
زائرة أو ساكنة
لا ضير ..
في مصيبتك أو فرحك علي أن أسهم
قريبة أو بعيدة .
وفي قصيدتك علي أن آخذ مكاناً
في رفقة لايقاع أو في رقة المضمون
وفي قلبك علي أن أنبض
مسرة أو ألماً
كيف .. ؟
هي الحياة تشبه الحديقة ،
نقطف منها وردة للعزاء
أو وردة للفرح .
وعليك أن تختار في أن تكون بينهم أو بيننا !
واختر ، اذا رغبت أن تكون حبيباً
أو صديقاً !
ولكن .. لا تبتعد كثيراً ،
لأن حياتي التي مضت والتي ستأتي

ستكون خالية تماماً .
وفي فرحي او مصيبتي عليك أن تساهم
قريباً او بعيداً !
وفي قصائدي عليك أن تكون دفقة الايقاع أو ..
او يعقل أن لا ترى نفسك في مضمونها .
أريدك أن تبقى في قلبي مسرة بعد أن كنت ألماً
كيف ...؟
هي الحياة تشبه المقبرة ...؟
لا تزرها ، اذن ، معزياً !
واختر أن تكون بينهم أو بيننا
والحب أفضل من العداوة أحياناً ،
وفي الصدر ينبض قلب آخر
وما من فرحة الا معك .
وتذكر ، دائما ، انك قلت بأنك بحاجة الي
أما أنا فلا داعي لأن أتذكر :
انني بحاجة اليك .

* * *

صـــداقــــه

الـــى آنيــــا . ثي

نحن ، معاً ، لم نعرف المصاعب كأهلنا .
ولم نقتل أحلامنا تضحية من أجل الآخرين !
عرفنا أشياء كثيرة : الحب ، الرحلات ، والكتب .
ولم نعرف أشياء كثيرة .
وحلمنا بالأشياء الزاهية ، ولم ننتظر يوماً ، معاً ،
رسائل كتلك التي تأتي فجأة بالمباغت .
ولكن .. عندما غبت أول مرة ، شعرت بالوحشة
وأبرقت إليك .

تـــمـــالـــي !

وعندما تأخرت طويلاً ، « لأن الحياة صارت لذيذة بمشكلها »!
عرفت كم أنا بحاجة إليك يا صديقة .

* * *

باقلينكا ديمتروفا
(بلغاريا)

- من مواليد ١٩٥٤ تخصصت في التاريخ والآثار .
- تكتب بالروسية ايضا .
- شاركت في مهرجانات شعرية على صعيد الجامعات وكانت من الاسماء الاصيلة البارزة .

□ □ □

أنت لاقلب لك

أنت لا ليل لك !
جميل* كصباح « هارنا » على البحر .
ساحر* كالأساطير الشرقية ،
في الصمت
في الشعر
في الكلام .
عجباً .. أنت لا قلب لك !
واسع* كالسهول التي لا يدركها البصر .
حزين* كالأشجار المقلوعة من غاباتها .
عجباً .. كيف كنت لا أراك
عجباً كيف كنت لا أحظى بشيء .

❋ ❋ ❋

مقدمـــه غنائيـــة

ـ لو رغبت فيَّ لاقتربت .
ـ لكنها المسافـة !
ـ كيف يطير الطير ، اذن ،
عابراً السهول والبحار نحو البلاد الدافئة
وأنت لا تستطيع !

* * *

انني أســتقبل الصبــاح كالعـــادة

عـــامٌ ،
عــامان ،
ثلاثـــة ،
ولم يدركنا الغروب ،
ولم يعرف النهر ارتيادنا .
والنافذة التي تواجه « البيانو » ،
لم تحمل أغانينا الى الشارع ،
وانت لم تأت .
والسقيفة ذبلـت أزهارها
والصباح لم يدركنا ولا الغروب

عامان .. ثلاثة ولا شيء غير حلاوة الحلم المؤرق ،
والرسائل التي طال انتظارها
كيف تستقبل الحقول النيران ،
تضيء أطراف السهول وتنشر الضوء !
هكذا الكلمات أقبلت ذات يوم ، مشحونة بتدفق الحب .
انني أستقبل الصباح كالعادة
ويمضي يومي كما تعرف
ولكن ببطء .
لو ينقـر الدوري شبـاكي
وتلقي عليَّ السلام .

* * *

اغنيـــة
(مقاطـــع)

القلبُ مفعمٌ بالحب
بلغاريا يا بلدي الرائع .
لم نرغب الرحيل بعيداً
بلغاريا يا بلدي الجميل .
القلب مفعمٌ بالحب

يا وطني يا أيها الجميل •
القلب مشدود* الى الجبال
الأرض والأطفال
البحر والأغاني
وطني أيها البلد الجميل •
لم نكن نخاف على أنفسنا
نحن الذي قدمناها فداك ،
أنت الذي لم تخفض الهامة •
القلب مفعم بالحب
وطني أيها البلد الجميل •

□ □ □

من سيعرف بأن الورد يلوث الأيدي !

يأخذك التعب بين ظلال الشجر ،
وصوت المياه •
يهدهدك الحنين ويبقلك الى سكون الحجر •
تلجأ للصمت ، وتداعب الرمل والأغصان اليابسة •
ألجأ للصمت ولا أداعب الرمل
لأن أصابعي مشغولة بتلمس الجروح ،
في الكلام الذي ينطق الحنين •
الطيور تحارب بمنقارها لتعيش

بينما البحر الأسود لا يأبه بي

ولا يلوي على شيء •

يا للقلب الذي غيرته الذكريات •

انت تفتح الورد يحتاج للندى •
أتعرف ؟ !

أن لا معنى للورد بدون الشم والنظر ، ولكن ، القلب موحش
بالورد والندى !

والشفاه موحشة بدون الشفاه

والكلام حنظل* •

من سيعترف بتلوث يديه بالورد ،

والشفاه بالكلام •

الموجة تغطي رأسها بالزبد ،
والناس تغطي أحقادها بالتحية •

من سيعترف أن التحية ليست للاعتذار ؟

أيها القلب ،

يا ذا الصامت الوحيد بيننا •

لماذا لا تتكلم الا قليلا ، ويعتب علينا الصمت !

قبل رحيلك حزمت الحقائب

وتركت أوراقك في يدي .

تجمع البراكين نفسها قبل أن تنفجر

وفي المضيق تنحصر المياه قبل أن تنحدر ،

وبين مــد الحياة وجذرهــا

كان اتحادي بك

ينشىء النقيض كالمعادن ،

ليتني لم أتعرف عليك !

□ □ □

قصائد للشاعرة الإنجليزية إيدث سيتويل

○ ترجمة: د. نذير العظمة

حصاد

مهداة الى ستيفن سبندر

انني امرأة قلبها كالشمس
امرأة رأت الكثير وتأملت العديد من الاحزان ،
لكنها ليست تعبة من التألق والانجاز والحصاد ،
أنصتت الى الذين يضرعون من أجل المطر والظلام الكوني
رأت كيف تضحي الأميرات الذهبيات للاله المطر
والغيم الذي أتى وكان صغيراً لحجم كف الانسان .
والآن في زمن السنونو ، المتألق ، المزقزق
النساء الفتيات تنتظر كأم الذرة عودة الضائع ـ
أجفانها الذهبية مسودة كغيوم المطر الضخمة .
لكن طبيعة القدر تبدأ في البرعم والغصن .
ـ والحب مع مخالب الليث وجوع الليث
يختبىء في الأجم في الربيع العدمي
الطاعنون في السن يحسون قلبهم المترب

يقرّع العروق لأن النار لا تملك غير الغضب ،
لكن المسيح قد غفر لكل انسان ـ قيصر الذي له جبهة الرعد
وثاناتوس ذو العروق الحجرية الذي يصرخ بالعطش في السهل
حيث الماء البريء يتدفق فقط في دم الذبيح
يسقط الى الأبد من أعرق حملت ظهيرتها
والرفيق الأحمق للصيف ، الوردة الباكية ·
سألنا عن علامة ما تسيناها ـ

وعن اجابة الشمس الابراهيمية الملتحية ، أب كل الأشياء
تصرخ من النضج فوق حصادنا الى الأبد ·
ومع صوت النمو ، بقوة الليث ، والشمس الضاحكة
التي يمتد لهبها العظيم كالأغصان خلال
الحرارة عبر السماوات ، نكد نرى
الكواكب السيارة الذهبية العظيمة ترصع الفضاء الواسع
والأرض ـ
يا أبناء الانسان يا أحباء السماوات ،
مذهبو السماء يشملوننا بعنايتهم ـ
بحكمة الكواكب السيارة والقوانين التي لا تتغير
تنضج حيواتنا وتحكم القلوب والنبض ،
ويولد أنواع الجوع الخالد في القلب والعروق
من العلة الأولى

التي تجعل قلوب ودم البشرية والبهيمة
في حركـة دائمـة ،
الدم الجمر للشجرة الناعمة الباكية
يعلو نحو حرارة الشمس الواهبة الحياة ...
أوليس الدم ـ السماوي ، حرارة الحيوان
التي ليست ذراً ـ أتيا من الأشعة المركزية ؟
أولايتجاوز الحيوان كل العناصر في القوة ،
عبر الحرارة وحكمة الدم
حالقا بهائم أخرى ـ الليث الليث ، والثور الثور
الدب "الدب" ـ بعضها كالكواكب العظيمة في
العتمة الخشنة غير المكونة ـ أو عوالم غير مصورة
بأعراف من لهب وشمس غاضبة من أجل القلب ؟
الحبل والتجدد والديمومة ـ
ودوائر كل الحيوات على الأرض ـ
على النبات والحيوان والانسان أن يتبع تلك التي في السماء
ايقاعات حيواتنا
هي نضج وموت المواسم
زرعنا وحصادنا في الحقول المقدسة ،
حبنا وولاداتنا ـ وشيخوختنا من بعد
ثم غرقنا في النوم

في الأرض الأم ، أم الذرة ، العتمة المجعدة •
وهكذا نحن محكومون بتلك القوانين ونرى تحقيقها
وأنا التي وقفت بثياب القبر نجسدها
المبقع بآلام العالم
أصرخ ، انني النار ، ألا ترى ، أنني الذهب الوهاج
الذي يتألق كالنار الملتهبة في الليل ،
الكوكب الذهبـــي المدرب
الحرارة الضاحكة للشمس المنبثقة من العتمة ـ
عائدة الى العتمة ـ أنا الاخصاب والحصـــاد
ففي كل بلاد طريق
ينمو من حاجات الانسان كما الأغصان من الشجر
يسير الحصادون كحصادي السماء ـ
كوكب المشتري وفلكه العظيم وآلهة الذرة ،
وكوكب زحل تسير على طراز دوريان •
سمعنا في السحر النار الأولى المنحية الناضجة
للحنطة هكذا هو اللهب الذي هو أرواح البشر
التي تبزغ من الأرض الكثيفة) •
بعدئذ أتى تدافع اللهب الحصادي ، الاله في الريح
التي تهب على حقول الحنطة
عاد من بين الموتى مراجل يدي' قيصر الاثمتين
كوردة الصباح تصيح من الافراح الحمراء

وأحزان أكثر احمراراً تسقط من الأعرق الفتية وينابيع القلب
عاد من أجل المخطىء والمحق ، الحكيم والأحمق ،
الذين كالورد لا يكترثون لفلسفاتنا
عن الحياة والموت ، يعرفون غفران الأرض
والندى الغزير الذي يأتي الى الوردة المريضة .
لهؤلاء الذين يبنون اصباحات المظيمة من أجل العالم
من جنات عدن لضياء صائع رأوه الواحد في عيني الآخر
وعليهم أن لا يلبسوا قريبا ضوء الشمس
بل أن يهتفوا بكلمات الوداع بين أحزان الصباح
لغـة الخبز العالميـة ـ
(أنت أيها الذي لم يكسر أو يقسم ـ
أنت الذي يؤكل ، ولكنك كالعوسجة الملتهبة
لاتُستهلك ـ أنت يا خبز البشر والملائكة) ـ
من مرتبة السيرافيم بمرتبة الحنطة الناضجة ـ
رعود ملتهبة من الذهب والكهان
السماويون ،
تزأرون من الأرض : سيدنا المسيح حقا قام
جاء من بين الموتى ليعطي علامة !!

اوريديس

مهداة الى جون لهمان

نيران على الأرض، نيران في السموات، نيران في قلوب البشر!
أنا التي التحمت بالموت بالذهب المتألق في الأرض
أحبيك! كل ثقل الموت في العالم كله لايساوي الحب بعد ـ الحنان
المظيم للغبار المتساقط وكل المخلوقات الأثيمة تسرع
كما أن الشمس في سماء فارغة ٠
انها تتألق كالنار ٠ يا ذهب حرارة الشمس الوهاج
أيها الحب عبر الحقول السوداء ـ سيحرق بعيداً قشور الموت
الخشنـة
حتى يصير كل شيء لهبا ويؤتى به للحصاد!
انظر اذن! ها انى أقف في المركز من أرضي
التي هي لماتت موتي ٠ تحت الأوج من شمسي
آتية بكلمة من العتمـة
بأن الموت أيضا يحنو على الطبيعة الساقطة ٠
وكما أن الشمس تدفن أيامها واشعاعها

لتنضج الأرض ، هكذا اشعاعات القلب
تتحول الى الحكمة بالموت ، وعظيم هو غفراننا .
وعندما دلف أونيوس عبر العتمة آتيا بغنائه الذي كالشمس
كالحركات في السماوات التي في عمائنا
هل نحن قادرون على غير المحاكاة ، هل نقوّم حيواننا ـ
جئت الى قمم القبر ، لم أعلم أن لقاءنا سيكون هكذا : ـ
هو كالعودة عند المساء
لعامل متعب في الحقول السوداء ـ
هتاف الترحاب والقبلة المستعادة بالذكرى !
في تأخر الموسم ، أنا بالاقدام الذهبية
التي خطت في حقول الموت ، الآن أسير مرة أخرى
الحقول السوداء حيث ينثر الزّراع الحب
كالدموع أو كالثريات التي تذرف الدمع من أجل تأخر
الموسم ـ
حيث تسير النساء كالنواحات ناضجات كالظهيرة
برؤوسهن المحنية ؟
أجفانها الذهبية ، كنفحات النرجس
في الربيع ، هن مبللات بدموعهن ، ينحن على زوجة
شابة ماتت هذه الحقول ـ
شابة الى حد لم يعقد شعرها الذهبي بعد

بمعدة كشوشة الذرة .... كم كانت طيبة هي ـ
بصوت كالسنونو الحلو . انها ترقد في اللحد الصامت ،

انهن يسرن في الحقول وحيدين . عندئذ واحد من الموتى
الذين يرقدون تحت الارض ، كصورة منحوتة لأوزوريس
كالماء سوداء كالماء رقيقة ، بوجه أخضر كقمر ـ
كان يرقد في العتمة مع الحنطة
كاللهب تنبثق من قلبه أو كالذهب التبر ـ
قال لي ، لقد كنا عميانا فعرينا الاله من الأشياء
لنرى الضوء الذي يتألق في الظلام ، وتعلمنا
أن النار الذهبية للحنطة يمكن أن تبزغ من القلب العاقر ،
عندما أتيت من مدينة الذرة
التراب الطحين الذي ربي عليّ قال لي

« لي مجاعة الليث يبتلع كلَ شيء »
أو اجعلهم ملكي ... فينوس كانت قوية مثلي ـ
ماهي الآن غير حفنة من رماد جمر جاف
وضرسي كسر القشرة ، جدار الجمر الجاف
الذي يحتوي على نار الحنطة . تلك النار ذهبت ـ
وتذكر هذا أن الحب ، أو أنا ، لنا أرضنا
قلبك بين حجارة السنين كالحنطة ،

حالما تركت فم القبر بعيدا كضجيج النحل البري الاسود ،
سمعت الاصوات ترتفع من مساكن البشر وتفكرت
حول أبنيتهم
حروبهم ، صنعهم العسل ، وسقوف الذهب المبنية
ضد الظلمة ،
وقد تعلمت أن طبيعة الذهب تحت الارض
تتحول الى حنطة أو ذهب في العتمة الحلوة .
لماذا ينحن على هؤلاء الذين يرقدون في اللحد الصامت
يذرفن دموعهن كالحب ؟ قلبها قرص الشهد ذاك
ظلمة كثيفة تبتلع كالدب ... ألا ترى أن كل الذهب قد ذهب
خلية قرص الشهد مسدسة الشكل ... لكن هناك في خلايا
الحواس الخمس كل ذهبهم مختزن .. أين هو الآن ؟
ريح القبر فقط تستطيع أن تعلم .
لكنني لم أخش ذلك النفس الهادىء المرجف
في التراب ... الحب لا يغيره الموت ،
لا شيء يضيع وكل شيء هو حصاد في النهاية .
كما أن الأرض مثقلة بكوكب الشمس الذي بقوة لليث
عندما يهبط بأيامه الحارة واشعاعاته ،
كذلك نحن مثقلون بالموت ، كامرأة يثقلها الحبل
كما تمسك قشرة الذرة نضجها ، قرص الذهب

مثقل بالصيف ٠٠٠٠ كما لو ان قطعة من الذهب
تحولت الى ذرة ،
هكذا تنهض حياتي من الموت ، انني ألقي بعظمة
الموت بعيداً ،

نتجه صوب البيت لأشياء الحب الصغيرة
الى بناء الموقد وعجن الخبز اليومي ،
صيحات الولادة ، وكل ثقل الضوء
يصور أجسادنا والارواح ، تتجه الى الشباب ،
وضجيج الصيف يكبر في العروق ،

وتطعن في العمر ، ظهيرة هادئة
واحدا من العناصر خلف الزمان ، أو اقليم جدية ٠
أنا مع فتى آخر الذي ولدُ من العتمة ،
يعود الى العتمة ، أقف على فم القبر
مع من أتى متوهجا كالريح

ليقابلني ـ أورفيوس فم الذهب
أنت ـ كأدونيس ولدت من شجرة اللبن
أنت يا غصن الكرمـة ٠

منكسر بريح الحب ٠٠٠٠ تلفت لأحييك ـ
وعندما أتلمس فمك ، انه الشمس ٠

أغنيــة من أجل صـوتين

يا دونيسيوس الشجرة ـ ياذا اللحية ، يادا النضج
بين أغصان ذراعي وشعري
كأغصان الكرمة شجرة ضمت الدلب
أتيت كالريح خلال الاغصان ..
والى أرض قلبي ، أيتها المرأة الذهبية
أنت الهــة الـذرة ،
أيتها الريح تخللي مرة أخرى أغصاني ،
يا عتمة الأرض ـ أيها النضج ،

□ □ □

هوامــش

تانتالوس :TANTALUS هو والد نيوبي « Niobe » و بيلوبس « Peblops » امتحن حلم الالهة ومعرفتهم بان طبخ بيلوبس وقدمها طعاما لهم ، مكان عقابه ان حبس في الماء الى العنق حتى اذا اراد ان يشرب في حال العطش انخفض الماء فلا يستطيع أن ينال منــه وثمار دانيــة حتى اذا جاع تباعدت عنه فلا يستطيع لها قطافا . M. (P. 465)

دوريان (Dorian Mode) في الموسيقى واحد من المقامات الموسيقية اليونانية القديمة

يمتاز بالبساطة والحلال من قباس (Minor) يلائم الانغام الموسيقية والحربية. OX. D.P.239.

(Orpheus) موسيقار زوج (Euryoice) التي ماتت من لدغة افعى بينما كانت هاربة من (Aristaios) ، لقد سحر اورفيوس العالم الاسفل (Hades) بموسيقاه ليسمح بعودة (Eurydke) شريطة ان لا ينظر اورفيوس الى الوراء حتى يبلغ عالم الارض لكنه عمل ماحذرت اوريديس وبقي وحيدا يمزقه نساء شبقات بجنون اللذة . M. (P. 457)

ادونيس (Adonis) ابن (Myrrha) زانية مع ابيها الذي تعقبها ولكــن الآلهة العطوفة حولتها الى شجرة نبات ولد منها ادونيس الذي حملته افروديت في صندوق الى برسفون (Persephone) لان كلتيهما احبتاه فورع وقته بينهما ولكن خنزيرا بريا مقتله اثناء الصيد وحزنا عليه فتجعل افروديت شقائق النعمان تنبت من دمه M.P.430

اوزوريس Osoris اله العالم الاسفل في الميثولوجيا المصرية القديمة الذي يحاسب الموتى وهو زوج ايزيس واخوها . P.i1245

فنوس Venus افروديت ، الهة الحب والجمال والزواج عند اليونان القدماء ابنــة زوس وديون . انظر « ادونيس » فوق .

دونيسيوس (Dionysus) اله الكرمة والخصب عند اليونان ابن زوس وسيملي ولد من مخلمخد اوس ونشأ كفتاة عند (Athamas) و (Ion) وتعهدته بعدئذ عرائس الطبيعــة (Nymphs) ، يكتشف الخمرة وتبتليه هيرا بالجنــون يتجــول في مصــر وسوريا يشفيــه (Rhea) ويتلقن اصــول السلوك والترسـيم لمذهبـه يطـــرده (Lycurgus) فيتسبب بموته ينشر مذهب الخمر في تراقيا (Thrace) والهند يبتلى سواه ثيبا بالجنون ، يرتفع الى مصاف الآلهة بعد مشاق كثيرة ، ينهض (Semele) من بين الموتى ويصعدان معا الى السماء . P. 441.

الخيّام شاعراً

○ ترجمة : د. محمد علوي مقدم

تميزت رباعيات الخيام بالايجاز وبيان المطلوب في كلمات قليلة ، والواقع ان اقوال الخيّام تتسم بالبساطة والاحكام ودقة التعبير وأوضح الخيام أفكار الفلسفة في تلك الرباعيات بأسلوب منطقي أختص به .

وقد بلغ الخيّام بالرباعية درجة عالية من السموّ والارتفاع وأبان فيها أفكاره في منتهى المهارة والاستاذية مما يصيب الانسان بالتحير والعجب من مقدرته في صبّ عقائده الفلسفية المهمة في القالب الرباعي . وأنشد من الرباعيّات ما تعبر كل واحدة منها عن فكرة فلسفية مستقلة وكانت مقدرته في التعبير على درجة كبيرة من الاحكام ذات تأثير حتمي في القارىء ومما يزيد في حيرة الانسان وانبهاره كيف استطاع الخيّام أن يعبر عن عقائده الفلسفية المهمة في رباعية وكيف استطاع أن يقرض الرباعيات التي تتضمن كل واحدة منها فكرا وفلسفة مستقلة عن الأخرى ومنسجمة يتمم بعضها بعضاً من ناحية أخرى .

وقد أحدثت فلسفة الخيام وما سلكه من أسلوب في الرباعيات

تأثيرات كبيرة في الادب الفارسي ، فقد مهد مجالا فكريا خصبا لمن أتوا بعده من الشعراء وبصرهم بفناء الدنيا وزوالها وضرورة اغتنام العمر لحظة بلحظة ، وحب الشراب ، ولذا أنشد الشعراء في هذا المجال أشعارا ، منها قول سعدي الشيرازي :

أيها السعدي فقد مضـى الامس

والغـد أيضا غير موجود

فلتغتنم فرصتك اليـوم

كل فرصة طيبة تلوح لك

بين أمسك وغدك

وكما يقول حافظ الشيرازي فلنغتنم

فان أحدا لا يعلم نهاية الامر على أي نحو يكون ،

ولكن الشعراء الآخرين الذين أتوا بعد الخيام لم يكونوا ينعمون بما كان ينعم به الخيام من نضج فكري وجرأة وغلفوا كثيرا من أفكار الخيام في ثوب من التشبيهات والكنايات ولم يتمكنوا من ابراز أفكاره بصراحة ووضوح ، بل عمدوا الى نضح أفكاره في ثوب مـن التعبيرات الصوفيـة وهنا نجد انفصاما بينهم وبين فكر الخيام ، ذلك ، لأن الخيام لم يكن بحاجة الى استخدام الرمز والاشارة ، بل كان يعبر عن أفكاره عاريـة وفي غاية الوضوح والصفاء والصراح ، ذلك أن حافظ الشيرازي مثلا حين يتحدث عـن الشراب على الرغم من أنـه يعبر عن فكره تجـاه ذلك في صراحة ووضوح وان المقصود بالشراب هو عصير العنب المعتق الا انه في أماكن كثيرة يغلفها في ثوب مـن الكنايات والاستعارات الصوفية كمـا يقول :

ان هذه الصورة والنقوش التي تتلألأ في هذا الكأس .
انما هي انعكاس لوجه الساقي الوضاء .
أو في هذا الشعر الذي أنشده حافظ ، كذلك :
يا من لا تدرك لذة مداومة شرب المدام
فلتعلم اننا نرى وجه الحبيب في كأس الشراب .

في حين ان مفهوم الخيام للخمر لا يتعدى ذلك الشراب الأحمر (النبيذ) ويعتبر أن الشراب مجلي اللذات والافراح ويعتبره ترياق الغم ومزيل الآلام ومفرج الكروب للانسان العاقل . والحياة عنده ليس سوى المرح والسرور والبهجة .

وكان حافظ يأخذ جانب الحيطة والحذر ويشير الى الجنة كثيرا فيقول :

ان جنة الفردوس في غاية الروعة والبهاء ولكن انتبه
ولتغتنم ظلال الصفصاف وتلك المروج .

في حين أن الخيام لم يكن يعتقد اطلاقا بالنبوة والمعاد ولم يكن مؤمنا بالله ورسله ويعتبر ان البشر أصغر من أن يقفوا بين يدي الله احياءا مرة أخرى وأن يحاسبوا على ما قدموا من خير الاعمال وسيئها (= من صالح الاعمال وطالحها) ولم يكن يعتقد بالأمل في رحمة الله أو الخوف من عذابه ، فكان دينه التحرر من الكفر والعقيدة وكان يعتبر الجحيم ومضات من ألم بلا ثمر والفردوس لحظة من الراحة والاستمتاع ، فكان يردد القول : ان الزهرة التي ذبلت لا تتفتح من جديد .

ولم يكن الخيام يعتقد في ما أعتقده معاصروه من عقائد دينية بل كان يطرح ظهريا جميع أقوال الفقهاء ورجال الدين وكان يوجه الطعنات في رباعياته الى المسائل الدينية ويشن العديد من حملات التحقير والاستهزاء على العلماء والفقهاء ولم يخضع لما اتبعه فقهاء زمانه من أحكام فقهية تعبدية • وصراع الخيام مع أفكار علماء الدين واضح جلي في جميع رباعياته وكان يتناول أمور ما بعد الموت باحتقار واستهزاء ويتناولها بطريق النقل والرواية عن الآخرين استهزاءاً • فيردد القول .

يقولون هناك ستكون الجنة والحور العين •••

يقولون لي ستنعم بالجنة والحور •••

يقولون لي : وستكون هناك نار حامية للعصاة •••

وكان الخيام يعتبر وجود الانسان وعدمه لا أهمية له كوجود وفناء ذبابة أو بعوضة ، وهكذا فانه اذا كانت الحشرات لا تحاسب على أعمالها فان الخيام يعتقد أن الجنس البشري أمام قدرة الخلق وعظمته لا يزيد عن تلك الحشرة الضعيفة التي لا تنتظر الحساب والجزاء •

ومن الجائز أن يكون هذا الانكار سببا الى القول عن أشعار الخيام » أن باطن تلك الاشعار تحوي سمّاً ناقعا وضلالا كثيرا للشريعة « •

ويعتبر الخيام أن جميع الاديان من صنع البشر ولم يحفل بالكعبة

والكنيسة والمسبحة والزنا وبيت الاصنام والمسجد ، فكان ينظر اليها جميعا نظرة سواء واعتبرها جميعا من نتاج الفكر البشري واعتبر أن الجنة والنار في ضمير الانسان وتكوينه .

فيقول :

ان النار شرر لآلام لا طائل من ورائها
والجنة لحظة من لحظات استمتاعنا ...
أيها القلب (أيها الانسان) ان أحدا لم ير الخلد والجحيم
فلتخبرني أيها القلب عن شخص قد عاد من الدار الآخرة .

وكان يعتقد أن الدنيا ، مرتع ملعب عجيب والبشر دمى تتحرك والفلك ارجوحة ولا يعتقد بالنشور ويقول :

لا عودة لك فاذا مضيت فلا عودة لك
وكل زهرة ذبلت لا تتفتح من جديد ...

ومفهوم الخيام للخمر هو ذلك الشراب الاحمر الارجواني وقد أفاض في مدحه والثناء عليه وأورد للشراب ومنافعه ، فصلا في كتابه « نوروزنامه » واعتبر الخمر ملك المشروبات . فيقول . ليس هناك شيء أكثر نفعا للبدن من شرب الخمر وبخاصة خمر العنب المر المذاق والمصفى ومن خصيته انه يزيل الغم ويفرح القلب .

فلتحتس الشراب ، فان الغم يلازمك طول عمرك
فمن الافضل أن تمضيه نائما أو ثملا .

وكتب فصلا آخرا في كتاب « نوروزنامه » عنوانه : في منفعة

الشراب • وللخيام مجموعة من الرباعيات توحي الحيرة والدهشة لما أعلنه فيها من أفكار الحادية بصراحة ووضوح •

يقولون ستكون هناك في الآخرة ، الجنة والحور العين
حيث أنهار من خمر ولبن وعسل مصفى
فلو اخترنا في هذه الدنيا الخمر والمعشوق فأي خوف
اذا كانت هذه هي النهاية في العاقبة •

ويقول الخيام :

يقولون هناك الجنة والحور والكوثر
وهناك أنهار من الخمر واللبن والشهد والسكر
فلتملأ القدح بالشراب وناولينه
فما هو موجود خير من ألف يرتجى •
فلتشرب حتى يفرغ القلب مما يقال عن القلة والكثرة •
ويفرغ الفكر من أفكار الاثنتين والسبعين فرقة
فلا تتعفف عن الكيمياء التي تشفي جرعة واحدة منها من ألف علة

ويقول أيضا :

ان كاسا واحدا من الشراب يعادل مائة قلب و ••••
وجرعة واحدة تعادل مملكة الصين
فليس هناك على وجه البسيطة سوى الخمر الحمراء شيء

مر المذاق يعادل الف شيء حلو المذاق
وقد جئنا الى الوجود على الرغم منـا
ولم نزدد من حياتنا سوى الحيرة
لقد مضينا مكرهين ولا نعلم ماذا كان
المقصود من مجيئنا ووجودنا وذهابنا

ولكن ما تميز به الخيام بين الشعراء ، من مناعـة وعزة نفس واحساس بـلذات واستغناء أمر جدير بالتقدير والاهتمام وان الخيام قد امتنع عن قبول المناصب كما يمكن استنباط ما كان عليه من عـزة نفس ومنعة ، من تلك الاشعار العربية كذلك :

اذا رضـيت نفسـي بميسـور بلغـة
يحصـلها بالكـد كفـي وسـاعدي
أمنـت تصـاريف الحـوادث كلهـا
فكن يا زماني موعـدي أو مواعـدي

كما يستفاد من هذا المعنى بوضوح وجلاء مـن بعض الرباعيـات المنسوبة للخيـام :

ان كل من يجد خبزا ويقنع بمسكن ويحيى سليما معافى
لاخادما لشخص ولامخدوما من آخرين، فلتقل له لتعش سعيدا
فسعادة الدنيا طوع بنانك .

ولم يكن الخيام تابعا لأي مذهب أو معتقدا فيه ، بلْ كان يعتبـر

تلك المذاهب كغبار يغطي جوهر الانسان وذاته ويعتبران كل هذه الملل يروالنحل والمسالك والمذاهب ، انما هي وليدة لفكر الانسان وخياله القاصر العاجز :

ان قوما قد أصابهم الغرور جهالة

وقوما قد غرتهم الاماني والحور والقصور

فحين ترفع الحجب فيجارون أنفسهم

لبعيدين تمام البعد عن ذاتك ٠

وقد اعترض الصوفية على الخيام واعتبروه دهريا ٠

ويلاحظ بين أشعار الخيام تشابه مع أشعار أبي العلاء المعري وليس هذا المطلب بعجيب ، لان الخيام كان على دراية تامة بالعربية كما كان يقرض شعرا بالعربية كذلك وكتب بها كتبا ٠ فمثلا حين يتحدث عن الكأس والابريق وان طينها الذي صنعتا منه ، كان فيما مضى جزءا من بدن انسان ويصير جدا مرة أخرى ولهذا يجب المحافظة عليه ٠ يقول الخيام :

خذ الكأس والابريق المنعش

ولتجلس خالي البال على المروج وشاطىء النهر

فكثير من الاشخاص الاعزاء قد أحال الفلك الغدار أجسادهم الى

كؤوس وأباريق مئات المرات .

وبقول المعري :

لعل .ناءا منه يصنع مرة
فيأكل منه من أراد ويشرب

ويطلب الخيام من الانسان أن يمشي معتدلا متواضعا على التراب ، لان هذا التراب كان يوما ما انسانا أو عينا ساحرة جذابة . فيقول :

ان كل نبتة قد نبتت على شاطىء النهر
كأنه قد نبتت من شفة انسان ملائكي الخصال والصفات .
فلا تمش متكبرا على هذه النبتة الخضراء
فن تلك النبتة قد نبتت من تراب فتاة حسناء وردية الخدود .

ويقول أبو العلاء المعري :

خفف الوطأ ما أظن أديم
الارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهد
هوان الآباء والأجداد
سران استطعت في الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا
ضاحكا من تزاحم الاضداد

وتتشابه أفكار الخيام مع أفكار أبي العلاء في كثير من النقاط فأبي العلاء مثلا يتحدث عن خلق الانسان وطبيعته وكيف أنه يتكون من عناصر أربعة تتأثر بالكواكب السبعة كما يعتقد العامة من الناس · فيقول :

جسد من أربع تلحظها
سبعة راتبة في اثني عشر

ويقول الخيام في هذا الموضع :

يا من أنت نتيجة لاربعة وسبعة
ويا من أنت قلق حائر من السبعة والاربعة
فلتشرب الخمر فقد قلت لك أكثر من ألف مرة
ان لا عودة فحين تمضي لا تعود

ويشير أبو العلاء في أشعاره الى شخص يدعى « محمود » كان ينعم بقدرة واقتدار عجيب (من الجائز انه كان واحدا من أمراء المعرة) فيقول:

أسر ان كنت محمودا على خلق
ولا أسر بابن الملك محمود

وقد قلده الخيام كذلك وذكر اسم محمود (هو بلا شك : السلطان محمود الغزنوي) فيقول :

فلتجلس مجلس الشراب فهذا هو ملك محمود

ولتستمع الى الصنج فهذا لحن داود

وضمن الخيام أشعاره كثيرا ، من المعاني التي رددها أبو العلاء من قبل مثلا يقول أبو العلاء :

اتترك ههنا الصهباء نقدا

لما وعدوك من لبن وخمر

حياة ثم موت ثم حشر

حديث خرافة يا أم عمرو

ويقول أيضا :

لو جاء من أهل الردى مخبر

سألت عن قوم وأرخت

هل فاز بالجنة عمالها

وهل ثوى في النار نونجت*

فهذا المعنى قد ردده الخيام حيث قال :

يا أيها الخيام من قال أن هناك نار ؟

ومن ذهب الى النار ومن عاد من الجنة ؟

ان أحدا لم ير الخلد والنعيم ، أيها القلب

ويا قلب ! أخبرني من عاد من الدار الاخرة ؟

* كان نونجت الاهوازي وزيرا للمنصور الخليفة العباسي وقد اتهم النونجتي بالزندقة

مختارات من شعر: كمال ابراهيم

بابل والبقرة والموت

○ ترجمة : سعد صائب

(ولد « كمال ابراهيم » في اللاذقية عام ١٩٤٢ واتم دراسته الثانوية والعليا في المعاهد الفرنسية ببيروت ... نشر وهو في التاسعة عشرة من عمره أولى قصائده بالفرنسية في مجلات لبنانية ... نال في باريس شهادة استاذ في الفلسفة ..)

إبدأ القصيدة كيما تمسي الارض ارضاً على نحو كاف ، واللذة اوفر لذة ، والجنون وحده سلوكاً في تحليل المشهد الطبيعي ، ولا تكن الا انملة ، نماً مستقلاً عن العيون ، وحذار ان تبذر سوى العشب في لحظة الصحور ...

لن افرغ البتة من كتابة بابل التي لم تكن قصيدة فحسب ، بل ارضاً ، وارضاً لا تفتقر :

الشمس مخدوشة مما تنوى البقرة على قوله لي عن الجسد ...

كمال ابراهيم

بابـــل

إن الأرض لأكثر ما تكون مستقبلاً
من أن أبدا بتذكري مناءها .

في البــدء

طعمتْ بابلُ قمحَ الكواكب
كيما تتلو عليَّ الألوان
فاحتفظت من حياتها
بدم الجرح الضيّق ...

وفتحتْ في كل سماء
الزمن والأعداد
ونسيتْ في كل أرض
أن أنوِّه باسمها
وعرضتْ في أقاصي ربوتي
الأعين والسيقان
هو ذا الجسد المسفوك قد وافى
من دم وإهاب
فأكل بالحليب
لحم الميتة

أيــاً كــان الأمــر
حسبـه ورقــة جمــال
فــوق عشـب المحيــا
كيمـا يحـاور هــذا الجســد

ســاعــة بلبـــل

الحشـيـش (١) جــم
الجنــون وافــر
بيـد أن المـوت عنقـود وحيـد
مـن شـقـاء غايـة في الصـغـر

تمهيـــــد

رغـب أنـاس في الارض
حرصـوا عـلى الكلمـة
فضـلـوا المـاثــرة
تحـدث آخـرون في الكلمـة
ناشـرين المـاثـرة في الأرض
أيتهـا الأرض
ألا ان المـدى لنـاء في العـراء

(١) حشيشة الكيف

وان الناس لم يضيئوا بَعد
لأن السمك (٢) يلتقط
بذوره بالمطّاط
ويصدأ الموت فوق عُمْر العضو
لأن بابل تتذكّر : حياتها
والناس الناس
لم يضيئوا بعد ...
وان دليل السياحة (٣) في اليد :
وقد بَتَرت هذا المساء
كل سيقان الموت
بيد أنه ما من مدفأة
في أيّة سماء
ولا سلام في أيّ نَدي

شراع

منذ زمن
تحكي بابلُ لي بجدرانها

---

(٢) في الاصل (Vieilles) وهو الاسم العلمي لسمك بحري طوله نحو ٦٠ سم يعيش قرب الشواطىء الصخرية وهو مزين بالوان شوكية .

(٣) في الاصل (Baedeker) ويعني الشاعر هنا « كارل بيدكر » وهو بائع كتب الماني ولد في « ايسن Essen (١٨٠١ — ١٨٥٩) وناشر كتب ادلة سياحية.

تغيب عني بابل
تفجّرني بابل بجمع من خُلد (٤)
تعتذر لي بابل في نهاية المطف
سأمسي أشدّ موتاً
من البحر المنتشر

أيّا كان الأمر

(من قراه يراني مصدقا ان هذا انا)

تتجوّف بئر
تتذوّق بوصلتي في جنوب رمل
دماً ، أنجّر
مع المرأة المسلّية حياة ساذجة
في الغرَق
تمسي الأجناس (٥) الفانية
ذات أعين كئيبة
وتستيقظ الكوابيس (٦)
من كرزات مُفعمة بالندم

---

(٤) في الاصل Taupes خُلد اوروبي يأكل الحشرات
(٥) Sexes
(٦) Eauchemass

* ترجمة : سعد صائب *

المطلق وحيد مقلوب

رحلة

توشك المجرة على الوقوف
فوق الأرض
ينساب بعض دم من ظبية
لا وجود لها
في منأى
لا تستقبل المواني (٧)
سوى السفن التي لها شواطئ على الساحل .

بابل بيل

يا لذة ستولد اثر موت جسد
بين الطير والفتن
رويت للأوذيسة فناءها
أنا متقدم من جسد بيد أنه من حجرة حقاً

(٧) في الاصل (Wherfs) وهي كلمة انكليزية تعني موانيء لشحن البضائع وتفريغها.

فتحدّثتُ ثانية عن اللمم
ملوّثاً بالمنّي والدم
يممتُ وجهي شطرَ المدن
بعد قرنٍ من أوهام
حرّكتُ الماء
سحقتُ الحشرة
بسطتُ الغروب
لقد كانت هي أنا عبرَ اناي
كحياة خلّت من زوايا وموت
خلّت من أرض

الآتي

جنين الظلّ

بطون تغفو فوق ثلوج أيار
مُناجاة نفس مطبوعة على مليارات النّسَخ
اياكَ أن تصدّق أن للمدن
شوارع في رمال الطريق
(ان مثار همكَ أن تنضج
كما نضجَ أجدادك)

يا للجنين ! . يا للجنين !

أهتف للناس هذا المساء ، حنانيك (أوه ! اني عليم بأنه لما يأت) • حنانيك ، قل له اني عرفت بابل قبل موتي ، قل له كذلك ان الانسانية تحلم بأسمى من جرائمها (أوه ! ان عينه على المائدة هي لحمي الذي أتى) قل له قل له بخاصة ، ان الشعوب تهلك في التماثل والكهوف ، وتعذب حيناً في الفيافي ، الفيافي التي تمتنع عن الماء ، في السجون ، في السجون ، في الاقبية ، في الانفاق ، في الليل الوحيد الذي يذرف دموعاً من دم وارهاب •

قل له عن الرئات الثلاث

التي تتنفس معاً

مجزرة

الشرق يتكلم :

أتمنى الموت

أتمنى الأرض

أتمنى الدم

لقد ولدت يوم مولد ابنتي

وبعت أخواتي للجبابرة

للكرواتيين

وجعلتُ من أمّي انتحاراً أبيض.
الشرق يتكلّم
أتمنّى الموت
أتمنّى الارض
أتمنّى الدم

لكأني السنونو يساورني الخوف
على الموسيقا المذبة
ينبثني أنبوب الحياة
ببلّور مضيء

أشرع الساعة في الكشف
عن خبيئة الحَجَرة كلّها
أحتجز الماء
أحصي الضياء

حذار أن تفتح هذا السِفْر
(فالملتّقة ملابس داخلية
ترقص فوق أرصفة العالم)
هنا يشوهونّ الكلمات
يفقؤون الأعين

بورقة ذات ابتسامة

وعلى منأى ليس ببعيد
ضاعت الأوديسة في تخوم
يقطفون فيها الشجر لفضاء
الزهر

كيما يحتفظوا بالأرض
- في غابات أوغاريت
عيناي تلجيتان لابن آوى
اللوزة الوحيدة لم تفرغ بعد
من التهام كينونتها
هنا

تفسّر الأمثال
بمظهر الصينيّين

يرقص بهق الحجر(٨) فوق صفحة اليمّ
ويتلاقى فوق الموج
تتسلق النيلوفرات(٩) السماء
القمر عليل بسببه
العشبة

---

(٨) Lichens نبات يعلو الصخور .
(٩) Nymphéas نبات ذو فلقتين

تقتلع الهوة للعنزة فوق المروج الخضر
شاة طفولتها

تبنى الأرض كلها على سجود الأعضاء
امّا تمثلت في خاطر بابل فكرة الموت
لمدن كل ورقة من حياتها .
هنا

أنكر العشبة
ما دام العالم لم يأت
اللحم أبيض

بيد أن طبقة اللصوص تتكاثر على نحو مذهل
من الارهاب المسلوخ لانتحالات
بطن

تنشد انسانية* مركز النار
جبين الماء هو خبرة ثلج
تنشد انسانية* الروح
تعي الكائن

اغنيـــة

يتفتت الذهب ويساط الحليب
يتجوف زبد الدماغ

ويأخــذه العجــب

زرقــة السمــاء مسيّجـة

أيــّاً كان الأمر فان حرف عـلة الوجود
يؤوب الي (لكـم تاتات !)
تفعـم الحقائـب بفواصـل ،

بنقـط فواصـل ، وتفـرغ الخزائـن
تتحـرك ، تتسكـع الارائـك
فـوق مأتـم العـالـم ...

بيـد أن ذلك لا وجـه لـه
واني لأبسـط جناحـي
واجعـل منـي مسنـداً يفسـد
خيـوط الفجـر

انا حـرف الألـف
أستشعر حـرف البـاء

أتخـلع لـون الـدم
واليـوم ، أرعـى الأخضــر
يا للعزيـف (١٦) !

---

(١٠) Plouf صوت الرياح والرمال .

اني أعتيق البيداء
الجو قارس منذ أن
أوقدت المصباح
أضحى شيئاً لا قبل لي بتحمله

يا للعزيف

تدلغ الحيوانات البريّة في الليل
(لمعان وحيد من صوت لموت)
امّا تجوز الرعشة اللذة

ترهف أذناي بيمعهما الي هذا المساء
بيد أني ما عرفت كتابة « الآخرين » أبدا
سروال أمي فكرة مضحكة
ما حملته أختي قط
فأضحت صمّاء
منذ هذا اليوم

منذ هذا اليوم ، تصعد
التسابيح من كل مكان :
أخطو خطاي
أفوه بكلماتي
أمتد امتد نحو أناي

أنا نـــدم الركبـــة
لعــــزلاء ..
،
ـ هذا الطــير جديــر بالسماء
لأنـه أبصــر عوالـمــي مختزلــة
في نقطـــــة

ـ ارتدى هدا المهرّج دعابــة
فـلم يعـد يرسـل ضحكـات

ـ عذبــة هــذه المـرأة
كشــوء لطفــل
يستعيرني الليـــل
فأتامّـــل فاهـــا
عــرَق الجســـد
أرحـــلُ حقّـــاً

أطمـــر اليــوم المدافــن
تناســت بابـــل
موتـــي هــم أضلـــع (١١) نادرة
في الشـــوارع المكنـــة
أفكــــاراً مذعنـــة

---

(١١) Eotelettes

أدراجاً تفضي الى سنتيمترين
من سماء

أوه ، يا للشعوب ! يا للشعوب !
جدران ندمانة على حبّها
ركناً من عالم

أعضاء مبتورة تذري
عرق ذاكرة

يا للأعضاء ! يا للأعضاء !

حيناً واهنة تحوي مادة
وآونة مظللة غياب
فوق الاسفنجة المنتفخة
من تراه لايعي شيئاً عن الماء

يا للشعوب !

ما أتى الزمان قطّ

في هذه الساعة من عالم
يُلقي الدماغ الداخلي ريشته
شاكراً الطير
تُجلسني الارائك مرتاحاً

حيناً فألزم بنشداني
العفو منها
فلتتحاور البغايا اليوم
مع محلّى (١٢) الموت
وليرقم الزبائن من
١ الى ٤٧ على أرصفة الليل
وليبُعدِ الأطفال ُتفاحة
الأسى

انا أدرى انا أدرى بالأجِنّة (١٣)
التي أمثّلُ في خاطرها
حسبي اني لن أذود عن نفسي
واني لن انبس بكلمة او الوذ بصمتي
أوه !

□ □ □

---

(١٢) (Pastille) قرص ذو حلاوة وعطر مستدير عادة .
(١٣) (Fioetus) جمع جنين .

حوار

مع موريس روش

○ مهاة فرح الخوري

« أنا فرنسي »

قال موريس روش الكاتب الفرنسي الطليعي الذي زار القطر العربي السوري في بحر شهر أيار المنقضي ·

ولد الاديب روش في باريس عام ١٩٢٥ ، لكن جدته شبلية وأمه من أصل اسباني ·

ليس كاتبا فحسب بل موسيقيا أيضا · طفولته ، بيئته ، الجو الفني الذي ترعرع فيه ساعدت على تفتح عبقريته الموسيقية · منذ سن الشباب ، ألف مقطوعات موسيقية حديثة متتابعة · أذكر على سبيل المثال لا الحصر ، « الغطاس » (عام ١٩٤٨ وهي معطوعة مستوحاة من نص لـ « هنري ميشيت » عزفها وغناها « جيرار فيليب » و « ماريا كازاريس » ·

كان أول مؤلف له في هذا المضمار ، كتاب فيم عن العالم الموسيقي « مونتيفردي » نشرته دار نشر « سوي » عام ١٩٦٠ ٠

موريس روش روائي ، من نوعية غير مألوفة ، بل فريدة ، من حلقة « انتونان أرتو » كما أنه ارتبط بحلقة ، وبمجموعة « تيل كيل » هذه الاخيرة منبثقة عن دار نشر « سوي » ٠

ألّف عددا من الروايات أهمها : « كومبالت » (متراصة) ١٩٦٥ « سيركوس » (السيرك ١٩٧٢) ، « كوديكس » (١٩٧٤) ، « أوبر- بوف » (١٩٧٥) ، « ميموار » (يريد بها مذكرات وذاكرة - ١٩٧٦) « مالادي - ميلودي » (أمراض وألحان) ١٩٨٠ ٠

بدأ موريس روش حياته صحفيا ، رغماً عنه ، مراسلا لمجلة « باري ماتش » و « رادار » ، كما أسس « وكالة الصحافة الباريسية » لم يكن يحب هذه المهنة ، لكنه مارسها رغبة في كسب لقمة العيش (كما قال) ٠

عن كيفية تحوله من العمل الصحفي الى الكتابة الأدبية قال :

« كنت أكتب وأكتب ٠ كان الفضل في نشر أول كتاب لصديق ٠ لو لم يحمله الى دار النشر « سوي » لكان مزّق وألقي في سلّة المهملات ٠ تاليفه كتاب ، ارادة ، أما نشره فصدفة ٠ أما اليوم ، فأرى الناشر يأخذ كتبي لأنها لاقت نجاحا ٠ علماً أن كل كتاب يختلف اختلافا كلياً عن الآخر ٠ »

يرى « روش » أن الكاتب قبطان سفينة ، يوصلها الى شاطىء الأمان اذا كان موهوباً ، أو يغرقها في عرض البحار اذا كان غير ذلك ، ويرى أن الكاتب لعب في الماضي ، خاصة في القرن التاسع عشر ، دوراً فعالا ، له بالغ الأهمية في تحويل المجتمع ، في تغيير القارىء ، وفي عصرنا هذا يمكنه بواسطة كتاباته أن يرسم خطة لما سيحدث ، رغم أن تأثير الكاتب صار أضعف بكثير مما كان عليه في الماضي . ذلك أن كل عصر كان يتميَّز بكتّابه ، بشعرائه بأدبائه بفنانيه ، بينما نشاهد اليوم مزجاً بين الأدب وبين أعمال المكتبات . وعلى سبيل المثال ، ذكر روش كتاب الرئيس فاليري جيسكار ديستان . هذا الكتاب اذ يتضمن بحثاً عن الديموقراطية الفرنسية أو عن خطة سياسية ما ، يلاقي رواجاً أكثر من أي اثر أدبي صرف .

ثم يظهر روش أسفه على دور الاديب الذي يقلّ شأنه يوماً اثر يوم في عصر كهذا تطغى عليه السينما والتلفاز . فيما أن الكتاب غالي الثمن نسبياً ، يفضل المرء مشاهدة فيلمين سينمائيين مثلا عن قراءة كتاب .

التلفاز برأيه هو الحماقة والغباوة . انه والراديو والصحافة اتصالات مشوهة بالجماهير بينما الاتصالات الصحيحة هي اللوحة ، الكتاب والموسيقى .

بهذا الصدد ، يبدي « روش » قلقه على مصير الكتّاب الشباب خاصة ، فبعضهم موهوب جداً ومع ذلك شطّب عليهم بسبب ظواهر المدنية الحديثة . أحيانا يوقع « روش » اللوم على الكاتب نفسه ، يلحّ على العناية باللغة ، ويعتقد أنه فيما اذا أهملت ، يعدو مصير الثقافة الهلاك والتصفية .

يتساءل روش عما إذا كان الكاتب آخر المتصوفة ويقول:
« الكتاب قطعة فنية ، على الكاتب أن يجد الشكل الأقرب الى المضمون » .

« لا أفتش عن الصعوبات لأجعل كتابتي صعبة . لي أسلوب خاص في الكتابة . يقال عني «أحيانا ، انني مسيء وخلاعي . »
أردت أن أعرف نظرة روش الى الأدب ، فقال :

« بالنسبةلي الأدب مهنة لها خصائصها ، تختلف عن غيرها من المهن ، لأنها محببة الى قلب صاحبها . فأغلبية الناس يتهيأون لمهن لا يحبونها ، فيستعيضون عن هذا الحب بهواية جمع الطوابع ، أو ممارسة عدد من الحرف اليدوية » .

« غالبا ما يبدأ الكتب عمله حين يكون يافعا ، لأنه يرغب في الكتابة ، رغبة نابعة عن النفس . ثم لا يلبث أن يستوحي من العالم الخارجي ، من المجتمع ، من الحروب ، من الآلام ... حينئذ يتوق الى أن يُسمع ، أن يُقرأ » ويضيف قائلا .

« عملية الكتابة نوع من الشمولية • يؤدي الكاتب مهمة بالمعنى الحرفي الفني لهذه الكلمة •

« كما أنه ينصرف الى اكتشاف شيء ، الى التحري عن شيء لم يكن معلوما ، عن ابداع ما •

« ثمة حـلم قد يصبح حقيقة •

« يحلم الكاتب بكتاب قبل أن يخطه ، ولعل الفترة هذه ، فترة الحلم ، هي أكثر الاوقات نعومة وطلاوة ، وأكثرها رهبة بالوقت نفسه •

« أكثرها نعومة لأنه ينفرد في وحدة مع ما يتخيل ، مع هذا الوهم ، كما لو أصيب بغرام صاعق ، فاذا به مع فتاة أحلامه ، انه اللقاء •

« أكثر الفترات رهبة تبدأ منذ تلك اللحظة التي يتكون فيها مفهوم الكتاب ، ينطلق الكاتب في الكتابة ، واذا به بمواجهة الصعوبات كلها •

يقول روش : « أعني بذلك عملية انشاء المؤلَّف • هذا جهد كبير ، جهد بالقدر الذي يجب أن يكون المؤلَّف اياه مكتوبا بشكل لا يوحي الشعور بهذا الجهد • انها عملية صعبة ،لكنها بديهية وضرورية •

« الرواية عمل أدبي،ضرورة لا يفرضها المؤلف•انها تستجيب لطلب لرغبة عميقة لدى الآخرين ، لدى القراء ، في الرغبة ثمة خوف بالوقت نفسه • ما أن لبّى عملٌ فني رغبة ما ، حتى اعترضه رفض • شيء ما يعارض هذه الرغبة •

يوضح الكاتب روش وجهة نظره مما يلي :

« انها المرآة ، تعكس لك صورتك ، بيد أنها مشوهة بالواقع . الفنان حين يصوّر وجهه من خلال المرآة ، لا يصوّر عمليا وجهه بل وجها آخر . اذا كان أنفه مشدودا أو مائلا نحو اليمين ، يظهر في المرآة مشدودا أو مائلا نحـو اليسـار .

« طرس الكاتب نوع من المرآة ، ينعكس فيه الخط مشوها الى حدّ ما . صلة الكاتب بما يكتب دقيقة ، مزيفة بنفس الوقت بالنسبة ذاتها القائمة فيما بين المصور وبين صورته المعكوسة على المرآة . على القارىء أن يصحح . المؤلف الحقيقي هو القارىء ليس الكاتب . حين أقرأ رواية للكاتب « بالزاك » مثلا ، فانني أعيد انشاءها .

« الرواية ليست شيئا يُعطى بل يؤخذ .

« ينجح الكاتب حين يكتب لكل الناس ولكل منهم بمفرده . المصوّر ينظر الى اللوحة ، هذه تنظر اليه . يحاول الكاتب أن يصوّر رسما ذاتيا لايشبه صورة الانسان الاصلية بل يمثل كل من يقرأ .

« من يؤلف ، يكون وحيدا ، من يقرأ ، اذا كان أتقن القراءة ، يغدو وحيدا ، المستمع الجيد وحيد حتى ولو كان محاطا بجمع من ٥٠٠ شخص . الوحدة تكوّن نوعية الاشياء . الوحدة هي الحب . الناس يتصادفون في الطريق . يحيون بعضهم بعضا ، غالبا ما يكرهون بعضهم بعضا .

أسلوب موريس روش

أسلوب موريس روش خاص متميز بل غريب . يشعر القارىء بغربة حقيقية ازاء لغته وعباراته . يحس بقلق الكاتب ، بمزاجه العصبي ، بثورة عارمة في نفسه .

لا يعتمد « روش » الكلمة ليس الا ، بل يستخدم النوطات الموسيقية ، ورسوما معبرة . الفرنسية لا تفي بالغرض المرجو لدى روش ، نجده يستعمل لغات عديدة منها ، اليابانية ، الصينية ، الروسية ، الانكليزية ، الاسبانية ، الايطالية الخ ...

حين سئل في اجتماع عقد في مقر اتحاد الكتاب العرب في دمشق عن سبب استعماله هذا النهج الجديد الغريب ، قال :

« ليعرف الفرنسيون أن لغات عديدة يصلح استعمالها الى جانب لغتهم . الاحرف اللاتينية ، الابجدية الفرنسية ، جامدة رتيبة . ينقصها الجمال والزينة . نهجي في الكتابة ، يجعلها مقبولة جميلة محببة . ثم الكلمة قاصرة ، لا تكفي للتعبير ، تحتاج الى موسيقى ، رسوم ، اشارات ، أشكال تبعث فيها الحيوية والحركة وتجعلها أكثر تعبيرا . »

بهذا الصدد ، أبدى الاديب الفرنسي اعجابه باللغة العربية ، بأبجديتها ، بطريقة الكتابة لدى العرب ، بالخطوط المختلفة (الكوفية ، المسمارية ، الخ ...) وقال انها جميلة راقصة متحركة معبرة .

قلت للكاتب روش انني مررت في كتابه «كومباكت» على صفحات كاملة بيضاء ، أو خطت عليها بضع كلمات ، جملة أو جملتان لماذا ؟ فاجـاب :

« أليس في الحياة فراغ؟ لحظات صمت؟ انني أظهر الحياة بواقعها، بأحداثها بفراغاتها »

بكل الاحوال ، يرى قـارىء موريس روش أن كتابـته تبرهن عـن قلق نفسي ، عن نظرة متشائمة الى الحياة ·

كتابه « كومباكت » مثلا عمل متراص فعلا تصعب قراءته ، يتعذر فهمه للوهلة الاولى ، صعب التفكيك ، يحتاج الى أكثر من قراءة ، بل أكثر من قراءتين · فهو مجموعة من لوحات تتلاحق تتتابع ، تصور آلام الفرد ، تدني الاخلاق ، ما آل اليه الانسان من أنانية ، من مادية من مصالح شخصية · يصور كل هذا بريشة كاريكتورية · يتساءل القارىء أحيانا فيما اذا كانت فكرته أو نظرته لبعض شؤون الحياة ، قد اكتملت وأدت الغرض المرجو منها ·

هذا ما نلاحظه أيضا في حديثه · فكرة تطغـى على فكرة سابقـة ، تحول دون اكمالها · فكأن الفكر لديه يسبق لسانه وقلمه ·

نظرته التشاؤمية واضحة في كتابه « كومبكت » وفي حديثه · الموت دائما في أفق الكاتب ، بمواجهته ، بعقله وبفكره ·

من أقواله :

« ليست الحياة هنا الا للذاكرة »

« مات لأنه أغمض عينيه على حلم »

« مات لأنه نظر الى الحياة وجها لوجه »

في الكتاب المذكور ، يصف لنا ضريرا انتقل عالمه الى داخل جمجمته :

« منيموبوليس (أي مدينة الذاكرة) التي يمكنك التجول فيها تحت جمجمتك ، مدينة وحيدة ومظلمة . لا شوارع ، لا أقنية ، لا زراعة حولها . (أين تلافيف مخك ؟) بل آثار ستحاول التعلق بها : انها أسمال ذكريات (أو تخيلات) ونترات صوتية تأتيك من الخارج ولا توحي ، في أكثر الاحيان بأي شيء . أشياء أو أجزاء تريد ربطها ببعضها ، اعطاءها معنى بوصلها ، بصبر لا يخلو من تردد ، ربما بأمل العثور على هذه الفجوة التي تدخل منها اليك الشمس بظلها ، وينساب اليها النسيان (منذ متى ؟)، والسهر يجتاح نومك حتى يغرق فكرك ...

« ذلك كي تلج من ثقب الذاكرة هذا المضيء باحثا بادىء ذي بدء عن اسم (أي اسم ؟) ترتدي ثناياه كي تندمج بكتابته .

« ثم تتهمد أخيرا في هذه الكلمة وتنام – ترتاح بسلام – تنام أعمق ما يمكن ، ولكنك لا تنام .. »

ـ بصدد نزوع الفرد المعاصر الى المادية ، يتخيل روش رجلا يابانيا جاء ليشتري جلد ظهر الاعمى المبرقش بالوشم لقاء مبلغ من المال يدفع عـلى اقساط :

يقول الأعمى : « جاء لزيارتي »

« هل الصديق المحترم مريض ، يتربصه الموت ؟ الطبيب المتواضع سيعود قريبا الى طوكيو ، يحب أن يصطحب معه الصديق المحترم ، اذا قبل أن يرافقه وأيضا أن يبيعه جسده ، جلده الموشوم ،

....

« الطبيب الوضيع قادر على أن يدفع غاليا ثمن الوشم وعلى أن يضمن أيضا للصديق المحترم نهاية حياة هادئة ، ناعمة جدا ، خاليـة من الهموم المادية

« وعد بالمال ، سيدفعه أقساطا الى المريض المحترم : الثلث عنـد توقيع العقد ، والثلث الاخير عند التسليم ، أي عند الوفاة ، مال مفيد لنفقـات الجنازة ٠

من يقرأ روش ومن يسمعه ، يلاحظ غما قلقا ، كآبة بل حزنا ٠ هذه جلية واضحة في كتاباته وفي أحاديثه ٠ حين سألته عن هذه الظاهرة المهيمنة خاصة على كتابه « كومبالت » قال :

« كنت مغموما كئيبا للغاية • لم أعد كذلك • تغيرت منذ حوالي سنة واحدة • هذا الواقع سأوضحه في كتابي المقبل •

« عللي كثيرة، تابع الكاتب ،

« لي ميزة وحيدة ، اني حيوي • كنت أخاف ، أتهيب كل شيء ، أرى المخاطر في كل شيء، حتى في علبة الكبريت، أرى الطائرة فأخشاها • ما ان أصبح على متنها حتى ينتهي كل الخوف •

سرح الكاتب الفرنسي لحظات ، كأني به عاد الى ماض سحيق • لم يلبث أن تنبه لانتظاري فكرّر قوله :

« أقول منذ حوالي عام زال قلقي فتغيرت • التقيت امرأة منذ عامين، كانت في تلك الآونة ما لم تكنه في الحقيقة • ظهرت لي بغير واقعها ، نزعت عني الغمّة والكآبة • اكتشفت أنها كانت هي نفسها مغمومة، مشحونة بالقلق النفسي • ما كدت أكتشف ذلك حتى انفصلت عنها • لم أكن أعرف النوم ، والآن أنام ملء جفوني • ذلك بعد أن أتخيل امرأة، قطعة موسيقية ، كتابا • »

موريس روش بقلم النقاد

كتب الاديب الفرنسي « باتريك روسو » ما يلي :

« انه في رواياته يؤلف لنا الموت والتمزق • موت الجسد والعقل وموت العالم • الابادة الجماعية موجودة في كل مكان ، في اللغة كما في

الاستحكامات . تحت ضربات الكلمات والرسوم ونوطات الموسيقى سنتعلم أكثر ما يمكن أن الكلام هو مكمن للمرض ، وانما نعبد الصلة مع الرقصة الجنائزية القديمة حيث كان الناس يضحكون حتى الموت .

« في هذه الرقصة بالذات اشترك منا أصدقاء موريس روش في حلبة سكارى حيث تختلط التخيلات والتحاليل النظرية ، الاحاديث والشهادات التصويرية والصوتية » .

بينما كتب الناقد « كلود بونفوا » ما يلي :

« من بين جميع الادباء الفرنسيين المعاصرين، منذ مؤلف «كومباكت» كما نعلم ، فان موريس روش هو الاديب الذي أعاد النظر بالطريقة الاكثر جذرية في بنى الكتابة الروائية . انه يخلق في الرواية ثورة شبيهة بثورة « مالارميه » في الشعر » .

والكاتب « ماهيه غوديل » سجل عن « موريس روش » الرأي التالي :

« ان مؤلفات موريس روش « كومباكت » ، « سيركوس » ، « كوديكس »، « أوبرا بوف »، « ميموار »، « مذكرات وذاكرة » هي مؤلفات يحمل كل ما فيها على اعتبارها أهم زلزال أدبي جرى في فرنسا خلال السنوات العشر الاخيرة .»

○ بيدرو خورخيه فيرا

وَصيّة الرّب التاسِعة

○ ترجمة : د. أحمد الغفري

الكاتب في سطور

ولد الكاتب الاكوادوري بيدرو خورخيه فيرا يوم ١٦ حزيران عام ١٩١٦ في مدينة (غوياكيل)، وهي ميناء كبير ، ومركز اضرابات واضطرابات ثورية دائبة . كان استاذاً جامعياً للادب في (كتو) عاصمة الاكوادور ، ويعتبر واحداً من قادة المثقفين التقدميين في الاكوادور . وعندما استولت الطغمة العسكرية على السلطة في البلاد عام ١٩٦٣ اضطر للهجرة مع زوجته الكاتبة يوخينيا فيتيري الى التشيلي ، ومن ثم الى كوبا .

ولقد أصدر بيدرو خورخيه فيرا ديواني شعر ، هما : « رحلات جديدة » عام ١٩٣٧ ، و « النفق المضاء » عام ١٩٤٩ ، وروايات : « حيوانات نظيفة » عام ١٩٤٦ ، و « الذرة المقيمة » عام ١٩٦٢ ، و « زمن العملاء » عام ١٩٧١ ، ومجموعات قصص : « الحزن الخالد » عام ١٩٥٣ ، و « التعشي المهجور » عام ١٩٦٨ ، و « وصايا الرب العشرة » عام ١٩٧٢ . وفضلاً عن ذلك فقد الف اربع مسرحيات . ونال جائزة « خوسيه دي لا كوادرا » عام ١٩٥٢ ، وذلك عن مجموعة « الحزن الخالد ».

القصـة

رآها لأول مرة وهو يمرق خبباً عبر القرية . لم تكن الوسائل تعني رودسسيندو أوردونيس ، زير النساء القاسي ، عندما يعجب بامرأة ما . وبما أنه سيد مطلق السلطة في هذه المنطقة فقد كان يجبر النساء على الاستسلام له طوعا أو عنوة ليرضي رغباته التي لا تعرف الشبع . وعاد الآن يمشي منمهلا على حصانه ، وتوقف أمام المرأة المجهولة . وعندما مرّ للمرة الثالثة كانت السيدة قد غادرت النافذة ، فدخل أوردونيس الحانة المجاورة ، وسأل الخمار :

ـ من هي تلك المرأة التي تعيش في الجهة المقابلة ؟

ـ انها السيدة دوريلا زوجة المعلم الجديد .

فصاح أوردونيس مغتبطاً :

ـ ها ها !

زوجة معلم ! لهذا اذن تصده ؟ لا يمكنه أن يمسها مباشرة كما يفعل ببنات الفلاحين الأجراء ، ولذا فانه سيمسك بها من بعيد ، وستلقي نفسها بنفسها بين يديه . وأرسل لها يوم الاثنين دجاجتين ، ويوم الثلاثاء أزهارا ، ويوم الاربعاء سلة برتقال ، ويوم الخميس أقام لها تحت نافذتها حفلة « سيريناد » صخبة قدمها مطربون من المدينة ، ويوم الجمعة ذهب الى المدرسة وطلب أن يقابل المعلم الجديد الذي لم يأت حالا ، ذلك أنه يصر على أن يصرف الأطفال أولا . وعندما انصرف جميع التلاميذ جاء ديميتريو مورابرا الى البهـو حيث ينتظره رودسسيندو

أوردونيس الذي استغرب أن يكون انسان تافه كهذا سيدا شرعيا لأجمل امرأة سبق لهذا الاقطاعي المأفون جنسيا أن التقى بها واشتهاها ٠ ولكن ذلك أفضل لأن النزال رابح مسبقا ٠ قال :

ـ أيها السيد مورايرا ، انني أدعوك ، أنت وزوجتك الى الغداء يوم غد ترحيبا بكما ٠ وسأرسل سيارتي لتنقلكما ٠

واستدار دون أن ينتظر جوابا ، ومنذا الذي يجرؤ على رفض دعوة رودبسيندو أوردونيس

وقبل أن تحل الساعة الثانية عشرة من يوم السبت ، وبعد أن جهزت المائدة ، أرسل السائق ليحضر عائلة المعلم ٠ وبعد خمس عشرة دقيقة كانت مفعمة بالعنجهية من جانبه خرج الى الشرفة عندما سمع هدير سيارة الحبيب العائدة ٠ كان على ثقة من أن السيارة عادت بسرعة لأن المدعوين كانا ينتظران جاهزين ٠ ولكنها وصلت خالية من الركاب باستثناء السائق الذي أسرع ليعلن :

ـ قال المعلم أنه يشكرك شكرا جزيلا ، ولكنه لن يتمكن من الحضور ، وانه لم يفلح يوم أمس في الرد على دعوتك لأنك انصرفت على الفور ٠

أشعل روديسيندو سيجارا وراح يفكر : « هكذا اذن ! هذا المعلم يسخر مني ! سأحرّض صديقي حاكم المنطقة على طرده فوراً ٠ ولكن هذا التافه سيأخذ معه زوجته ، بينما يجب أن تبقى هنا عندي٠ » ودفعه ذلك الى دراسة الأمور بعناية أكبر ووضع خطة لا يتطرق اليها

الخلل ، لكي يأتي بدوريلا الرائعة الى فراشه • يجب أن يتصرف بتؤدة وحيـــلة •

ولكن يجب أولا أن تؤكل الأطعمة وتحتسى المشروبات التي رفضت، فأمر سائقه قائلا :

ـ اذهب الى الخوري وقل له أن يأتي فوراً للغداء !

بعد قليل عادت سيارة الجيب بالكاهن النهم الذي يصعب عليه أن يقاوم اغراء مائدة عامرة •

أكل الاثنان وشربا حتى الثمالة وهما يتحدثان حول أشياء أخرى • وعندما صعد الكحول الى رأسيهما دخل المضيف الى عالم المغامرات الغرامية الشهي" •

ـ هل تعرف دوريلا زوجة المعلم الجديد ؟ انني مجنون بها ، مجنون كلياً • وهل يمكنك أن تتصور أنني دعوتها اليـوم للغداء مـع زوجهـا فرفضت • فما رأيك بقلة الحياء هذه ؟

ـ ولكنها متزوجة يا رجل •

ـ ماذا يضير ذلك ؟!

ـ ان الزواج مقدس ياروديسيندو • كما ان وصيـة الـرب التاسعـة لا تحتمل التأويل • »

كان أوردونيس ينتظر من رجل الدين أن يعرب عن تعاطفه معه • فأثار حفيظته التلميح لوصية الرب التاسعة • وعندما خرج القس احتسى الاقطاعي قرابة زجاجة كاملة • وبما أن التفكير بدوريلا الجميلة كان يؤرقه ، فقد امتطى صهوة جواده ، وانطلق مسعورا • وصاح بصوت حانق أمام الدار التي يقطنها الزوجان مورابرا :

ـ أيها المعلم القذر اخرج ان كنت رجلا ! لم يجرؤ أحد حتى الآن على استفزازي •

ظل البيت أبكم ، مظلما ، ميتا • وواصل أوردونيس الصياح بصوت يزداد عنفا • وأخيرا فتح الباب الخارجي ، وظهر المعلم ، وقد شحب لونه ، وهو يحمل مسدسا بيده المرتجفة •

ـ ها أنذا ، أيها السيد ، ما ذا تريد مني ؟

أخرج روديسيندو أوردونيس بمهارة القاتل المجرب مسدسه بسرعة خاطفة ، وأطلق مرتين قبل أن يتمكن مورابرا من الحركة • فسقط المعلم أمام الباب •

ترجل القاتل ، دون أن يعيد مسدسه الى مكانه ،واقترب من القتيل، وركله برجله ، وصاح :

ـ حسنا ! لقد أصبحت دوريلا الآن أرملة •

○ متوتوزيلي ماتشوبا

قصة من جنوب أفريقيا
أنا لست بشراً

○ ترجمة : عبدالقادر ضللي

« ولد متوتوزيلي ماتشوبا في مدينة سويتو عام ١٩٥٠ ، يوم أن أخذت معالم هذه المدينة السوداء ترتسم في أرباض مدينة جوهانسبورغ . إن العالم الذي يصفه هنا هو عالمه . وشارع موهال ستريت هو شارع طفولته حيث ، كما يروي « في كل صباح يوم سبت واحد تكتشف دوما جثة يغطيها ورق تعبث به الرياح » . إنه عالم عنف وسقوط وموت يريد الكاتب الشاب أن يكون شاهده اليوم « كي لا أوصف بإرهابي متعطش للدماء ، مهما حدث في المستقبل » . ولكي أستطيع أن أقول : هكذا كانت الأحداث التي خلقت « السنتف بيكوات والسالومون ماهلونجوانات » وغيرها قبلها وما سيأتي بعدها » .

أخذ أدب هامشي معارض يزدهر في جنوب افريقيا عشية أحداث سويتو عام ١٩٧٦ ، ولاسيما بفضل مجلة « ستافريدر — سارية القارىء » الناطقة بالبريطانية والصادرة في جوهانسبورغ ، والتي أرادت أن تكون وسيلة تعبير للكتاب والشعراء السود من الجيل الجديد كافة ، الذين حرموا من أمثال هذه الوسيلة بوجه عام . إن قصة أنا لست بشرا ظهرت في هذه المجلة (تحت عنوان : ناديتني أنت لست بشرا) ، مع غيرها من القصص القصيرة الأخرى لمتوتوزيلي ماتشوبا . ويعاني الكتاب السود مصاعب كثيرة كي يسمعوا صوتهم في بلدهم . ولقد تعرضت مجلة « ستافريدر » ، التي يتولى نشرها أبيض من جنوب افريقيا ، للمنع من البيع كثيرا في جنوب افريقيا بموجب قانون ١٩٧٤ الخاص بالنشر .

وبعد مضي ثلاثة اعوام على ثورات سوويتو ، زار الصحفي الامريكي ايرست هارش جنوب أفريقيا واطلع على شروط الحياة في مدن وريف الزنوج « الرسمية » منها وماعرف منها « بمدن الصفيح » « المتوحشة » ، فنشر مقالا تحت عنوان (الحياة في سوويتو وكروسرود) ، عرض فيه وصفا دقيقا للحياة البائسة التي يعيشها الزنوج في هاتين المدينتين ، وجنوب افريقيا عموما .

ان ماتقدمه الينا هذه القصة الواقعية ليس غير جزء يسير مما عرضه علينا ذلك الصحفي حول شروط التعاسة والمهانة والموت الاسود في جنوب افريقيا على يد « السادة البيض » . وقد نشرت مقالته تلك جريدة البعث مترجمة بكاملها وتحت عنوانها بالذات : « الحياة في سوويتو وكروسرود » ، في عددها بتاريخ ١٩٧٩/٩/٢٤ .

القصــــة

لأنني كنت قد واربت وكذبت ، وقاومت مااستطعت الى ذلك سبيلا ، وفررت وقت أن كنت موقوفاً ، وقبض علي حين انتشلت كمية ثمينة من النقود ، ولأنني كنت أحياناً أدعو أخواتي لنجدتي فيدخلن في اللعبة ويفتن مبتزي ، وأستسلم للضرب على فمي أمام نساء جنسي، وأسمع بشتم والدتي بوصفي ابن رجل مظنون فيه ، مات مافي من بشرية مرارا ومراراً • لم يبق في فحسب غير جلد تصلب كدرع حيوان ليحدثك عن آلام الغير •فبشر يتجلد تحت أنظاري ، أتحمله في روحي • فما يعانيه من حزن أعانيه أنا أيضاً • كأس المرارة هذا الذي يتجرعه، أتجرعه أنا أيضاً • نحن محكومون بالاشغال الشاقة ورهن سجن واحد ، نتقاسم حياة النكد •

كانوا دوماً يختارون كل يوم جمعة ليبتزوا ، رغم أنهم في هذه الأوقات لايأتون الا من وقت لآخر ، مرة واحدة في الشهر تقريباً • ربما

لأنهم وجدوا في مكان آخر مراتع أسمن ، هنالك حيث فرائسهم أسهل صيداً منها في مزيمهلوب • لقد شهد هذا المكان ، في الواقع ، موت ثلاثة من رفاقهم المجرمين ، كان مفاجئاً لهم ، وكانوا قد اندفعوا يصطادون غير بعيد ، فدخلوا تجمع « عزاب » في شمال حينا ، سالبين الناس في وسط معسكرات عملهم الكريهة • بعد تلك الحادثة تماماً ، أصبحت اغارتهم أقل في حينا وفي التجمع المجاور • لكن الراحة كانت قصيرة الأمد ـ فترة هدوء تسبق العاصفة ـ وكانت ذكراهم سرعان ماامحت في حينا ، ولاسيما ذكرى الموت • وبينما كنا نطلق تنهدات الارتياح ، اذا بهم يعودون للظهور فجأة ، مرعبين ايانا ثانية • في حزيران ١٩٧٦ ، كانوا قد أزيحوا عن المسرح لسنة ، ولم يشاهدوا الا بالكاد • غير أنهم أشبه بحمى خبيثة، يأبون الا أن يعودوا لجرائمهم، رافضين أن ينساهم الناس الى الأبد •

ان من يعرف سوويتو قليلا سيتنبأ بلا ريب بأن أولئك المهووسين الذين ألمحت اليهم هم ليسوا غير « جنود الاحتياط » من الشرطة المشهورين الذين يزرعون شوارعنا القذرة في أثناء العطل ، سالبين البؤساء الآمنين ، متنكرين كرجال أمن للحفاظ على القانون والنظام في المجتمع • انه لايوجد في منطقة الأكواخ كلها عصابات أكبر من مثل هؤلاء القائمين على خدمة القانون والعدالة ، مثل هؤلاء رجل الأمن المتطوعين في سبيل الامن العام • انهم خلافاً لغيرهم الذين مهنتهم العيش أيضاً من عرق ضحاياهم ، فهم يسرقون في رابعة النهار وعلى ملأ

الجميع • ومن الواضح أنه لايمكن عمل شيء لمنعهم من ذلك لأنهم يختالون تيهاً بمآثرهم تحت راية القانون • والاحتجاج ضد آثامهم يعني تحدي السلطة القائمة •

اذا ، في يوم تلك الجمعة ، كنا فوق جسر محطة مزيمهلوب • كانت الساعة تقارب الخامسة بعد الظهر • والشمس ، كرة حمراء معلقة فوق السقوف المتماثلة كلها والمتقيئة دخانها الفحمي ، تصبغ هذا السديم الكثيف بآثار قرمزية • كانت قطارات الضاحية القدمة من المدينة تتوقف تحت الجسر كل دقيقتين أو ثلاثة دقائق وتتقيىء حملها البشري الذي لاينضب والمؤلف في معظمه من المستأجرين القاطنين في المجمعات والذين يصعدون الى موهال ستريت على عجل كي يطبخوا عشاءهم الهزيل فوق سخانات كهول • كان على القطار الذي شاهدناه في هذه اللحظة بالذات أن يغادر فيفني ، ثالث محطة بعد مزيمهلوب • في هذا الوقت بالضبط ، برز القطار الذي يليه من تحت الجسر ، قادماً من نيوكندا ، حيث نقطة الاتصال بين سوويتو الشرقية وسوويتو الغربية • كانت مجموعة « المستأجرين » قد نزلت القطار وغادرت في هذا الوقت محطة فيفني ووصلت الى منعطف يتقاطع فيه شارع موهال ستريت بشارع ايليوت ستريت • كانت المائتا متر الفاصلة بين المحطة وشارع اليوت ستريت خاوية نسبياً ، فكان من السهل ملاحظة المشاة المتجهين الى المحطـة •

حين توقف فجأة بصرير دواليبه القطار القادم من نيوكندا ، ظهر أربعة رجال ـ اثنان منهم في بزة والاثنان الآخران في طقم أزرق ـ في

زاوية موهال ستريت • وطالما عرف من هم ، لمجرد طريقة احتلالهم عرض الطريق ومشيهم وكأن كل ماكان يقع عليه حقل بصرهم ، من بشر وأشياء ، ملكهم الخاص • وحين وصلوا بمحاذاة النساء العجائـز اللواتي كن يبعن ثماراً وخضاراً وأطعمة مقلية بامتداد الممرات الجانبية الكئيبة المعبرة ، أسقطوا أيديهم الفخمة فوق ماكن يمسكن به ثم توجهوا الينا وهم يمضغون بشراهة • لم يكن ممكناً عمل أي شيء أيضاً، فالبائعات البائسات لم يكن لديهن اذن ليلتقطن شيئاً من الفتت يتيح لهن تهدئة بطون صغارهن اليتامى الصارخة جوعاً في البيت • وكن عزلا تجاه اختلاس « جنود الاحتياط » الذين لارحمة لديهم •

صاح ماندال الواقف الى جانبي : « أي ، هاهم الشرطة ! فلنهرب ياصديقي • »

كان محقاً • هؤلاء الجنود الاحتياطيون يذكرون بلصوص الغرب الامريكي (ويستيرن) القديم • غير أني لن أتحرك من مكاني لانهم هبطوا الشارع أشبه بعصابات الغانغستر • وثمة أمر آخر : كنت أعرف أن الموظف القائم على الخدمة في يوم تلك الجمعة لايرضى باضطهاد الناس في نطاق دائرته • أردت اذاً أن أعرف كيف يطرد جنود الاحتياط ، وأتمتع بالمشهد مااستطعت •

فأجبته : « لاتقلق • انتظر قليلا نرى كيف سيطردهم هذا الشرطي من هنالك • لن يدعهم يصلوا الى المحطة » •

وانقسموا الى مجموعتين حين كانوا تحت الجسر حيث كنا • وراح اثنان منهم ـ أحدهما طويل القامة في وجه يعذبه موضوع وفي سحنة لماعة، يعتمر خوذة غولف صفراء ، أشبه ببعضهم منذ خمسين عاماً ، سيء الحلاقة ، رديء الثياب ، في جبهة جرداء ووجه مخمور ، يمضغ بهدوء فخذ خروف محمص انتشله من احدى الجدات ـ يتسلقان الدرجات الواقعة الى يميننا ، وراح الأصغر يتسلقها أربعاً أربعاً • أما الاثنان الآخران ، فقد قررا أن يتوجها للقبض على ضحاياهما المطمئنين في زاوية الشارع، عند أسفل الدرجات الواقعة الى يسارنا بالضبط • كانت أول موجة من المسافرين النازلة من القطار قد وصلت الى منتصف الجسر حين بلغ الرجل أعلى الدرج •

انه لمن الممكن أن يعرف الناس جنود الاحتياط من رؤيتهم لهم ، ومن الممكن أن يشموا رائحة الشرطي في الجو الموبوء ، أو لأنه كان يوم الجمعة ، كانوا يعرفون ماذا ينتظرهم • كان يحدث دوماً أن تنكص على أعقابها الموجات الثلاث أو الأربع الاولى البشرية وتفر لتحمي حريتها الثمينة في وسط الجمهور المجهول الذي يلي • فيباغت الآخرون بهذه الحركة غير المتوقعة فيصرخون بكل جوارحهم ، محاولين أن يجدوا توازنهم •وعمت البلبلة المحطة بعد ثوان قليلة ، وكأنما قد نفذ نمط متوحش الى قن دجاج • وقبض على اثنين ، ممن لم يسرعا في الهرب ، من أكمامهما وطلب اليهما اذن المرور • وبينا كانا يبرزان وثائقهما ، راح الذئاب يفتشون جيوبهما ، متظاهرين بالبحث عن أسلحة خطرة ،

مثل سكاكين أو أشياء أخرى ممنوعة يحتمل أن تكون مخفية تحت ثيابهما • وفي الحقيقة ، كانوا يريدون التأكد من أنهم قد وقعوا على صيد ثمين ليكملوا أهدافهم • وبينما كانوا يتصفحون أذونات المرور ، ظهر شرطي الحراسة •

وزعق بعنف وكأنما ظن أن عروق عنقه ستنفجر : « و.ذا ، أيهـا الحيوانات ، ألا تعرفون أن تصرفاتكم هذه القذرة ممنوعة هنا ؟ هيا انصرفوا ! هيا انصرفوا وافعلوا هذا في مكان آخر • ليس فوق رصيـف سكة الحديد » •

فصاح ماندال : « اعتقل هؤلاء الكلاب ، أيها المذهول ، وامنحهم فرصة ليجربوا السجن ! »

فقلت لماندال : « نعم ، وأراهن انهم لم يقوموا أبدا بجولة هنالك حيث هم متعجلون لارسال الآخرين • »

أخذ الناس الموجودون هنا يقذفون الأنذال خارج المحطة وبشتائم قويــة • فهبطوا الدرجات خائبين ولحقوا ببطانتهم تحت الجسر • كان بعض المسافرين قد أخذهم الهرج فوصلوا الى الرصيف بانتظار انصراف جنود الاحتياط •

ولبثنا في محطة المراقبة ، فقد استمرت الاضطهادات • وتساءلت في نفسي عما اذا كان جنود الاحتياط يقرؤون حقاً أذونات المرور (اذا

افترضت أنهم يعرفون القراءة) ، أو اذا كان الضحايا يعرفون فيما اذا كانت دفاترهم قانونية أم لا • انه لمن الارجح أن البؤساء كانوا يصدقون ماتقوله لهم العصابات المحلقة • فهذه تطلب أذونات المرور بعد أن تحكم بأن ضحاياها قليلة الخطر ، ثم تتصفح بسرعة الأوراق وتضعها في جيوبها (مما يمنع المستسلمين من متابعة طريقهم) وتأمر المستأجرين المذهولين بالبقاء حيث هم ، وقد اعتقلت ضحايا غيرهم • وفي لمحة عين، كان في أحد أطراف الشرع جمع من البشر تملكهم الجنون يصيحون برفاقهم أن يتوجهوا الى غرفة رقم كذا أو كذا ويقولوا الى فلان أو فلان بأنهم موقوفون في المحطة وأن ياتوهم بنقود كي يطلقوا سراحهم • كان بين أولئك الذين أوفدوا قد سمعوا الرسالة قليلا حقاً ، وكانوا سعداء بتمكنهم من الافلات خارج المنطقة الخطرة • ومن كان لديهم نقود أمسكوا بيد مبتزيهم واستعادوا أذونات مرورهم وصعدوا موهال ستريت في خطى سريعة • فمن كان منهم عاثر الحظ وقع في فخ آخر ، على بعد ثلاثمائة متر ، حيث يتكرر كل شيء • والويل لمن أعطى نقوده كلها لمختلسيه الاولين ، اذ لاحساب لذلك • كان مخفر الشرطة محطة ايقافهم التالية قبل أن يقدموا أمام مفوض الشرطة • فمن هنا يرسلون الى مكان ايفادهم النهائي : سجن مودربي • فيمدون بعد ذلك المزارع باليد العاملة الرخيصة ، لتمضية مدة حكمهم • وتختلف العقوبات بين يومين الى عامين بتهمة (لوفرسكيب ـ التشرد) ـ وهو في الواقع بطالة كان يجب الا يعاقب عليها هؤلاء البؤساء • ان النظام كله تفوح منه رائحة الاشغال الشاقة الكريهة علانية •

واخترقت سيارة « كويلا ـ كويلا » الكبيرة موهان ستريت برعونة شديدة · فتفرق الجمهور ، وتمسك الناس بالحواجز التي كادت أن تنهار ليدعوها تمر · وانحرفت السيارة لتفلت من أنظار المسافرين وانعطفت فجأة الى الشارع الثاني الملاصق غير البعيد عـن المحطـة · وتدفق مدد من جنود الاحتياط ليكملوا عملهم القذر بحماسة · كان الأسرى قد صفوا من قبل بامتداد حظيرة البيت الأقرب الى المحطة ، فدفعوا ركلا بالأقدام الى « الكويلا ـ كويلا » · وضربوا بقبضات الأيدي والأحذية الضخمة ليدخلوا اليها جميعا · كان سائق الكويلا ـ كويـلا هو الوحيد الذي يرتدي بزة عسكرية ، فأغلق الباب بعنف وتأكد من أنـه محكم الاغلاق · ثم توجه واستقر عند احدى البائعات ، واختطف بحركة متسلطة أجاصة محام (نوع من الثمار) ، وقشرها وأكلها كما هـي وأدخلها في هم عملاق ثم بصق نواتها الضخمة · لم يكن بحاجة لان يكلف نفسه العناء فيعتقل أياً كان · كان رفاقه من الفانفستر قد تركوا لـه حصة كبيرة من غنيمتهم ، وقدموا له فوق ذلك بـيرة وبراندي · ولـم يكف عن أن يعيد الى كرشه حزامه الملمع جداً بمسدسه من عيار ثمانية وثلاثين البوليسي ، في غلافه الجلدي ، ثم يسحبه ثانية فوق ذراعه · كان يفضل بلا ريب حمل سلاحه بطريقة مسترخية وكأنه كاوبوي ·

كان فتـى يقارب السابعة عشرة قد أمسك و في جيبه سكين · انه يعتبر سلاحا خطراً · فضرب ضرباً مبرحاً ووضع الغل بيديه قبل أن

يوقف الى جدار المحطة الاسمنتي • بعد عشر دقائق ، نزلت أخته من القطار ، وكانت ناعمة ، لتكتشف أخاها الشاب بين الأشخاص الموقوفين وبينما كانت تسأله عن سبب اعتقاله وتوبخه لحمله سكيناً اقترب منها جندي احتياط شاب وأخذ يتملقها • فسايرته • وأطلق سراح أخيها بعد ثلاث دقائق • كان وجه الجندي الاحتياط متهللا ، مسرورا لانه، بممارسته وظائفه ، قدم خدماته لامرأة جميلة ، لكنه كان يجهل طبعاً أن العنوان الذي أعطته اياه كان زائفاً • كانت أخواتنا الرنجيات يضطررن أحياناً أن يسايرن حتى النهاية كي ينقذن رفاقهن ، فكالعادة ، كان لايمكن عمل أي شيء آخر غير ذلك •

هبط موهال ستريت رجل كانت ملاحظته سهلة بين الجمهور ، من الكيس والحقيبة المحملين فوق كتفه • لم يعرف أنه كان يوم الجمعة ، يوم السلب والنشل ، الا حين صدم جنديي الاحتياط اللذين برزا فوق الطريق وطلبا اليه أن يضع حوائجه • وحين أدرك الفخ ، شاع في وجهه الارتباك الشديد • وأخذ يتهجس بجنون جيوب بدلته • وتفاقم الارتباك أيضاً في وجهه القاتم • وبحث أيضاً ، لكن عبثاً • فأخذه الرجلان اللذان أوقفاه جانباً ، وقد أمسك كل منهمابشدة بكم بدلته • واستسلم من غير أن يحتج ، أشبه بحيوان مروض ، ورفعا ذراعيه وهما ينبشانه بدقة • وحين لم يجدا شيئاً مخفياً لديه ، طلبا منه اذن المرور الذي لامناص منه ، رغم أنهما كانا قد لاحظا أنه ليس لديه • راحت يداه تثوران وهو يشرح لهما سبب عدم حمله الوثيقة • من هنا حيث كنت

على بعد امتار قليلة فوقهم ، كنت بالكاد أن أسمع مايدور بينهم من أحاديث • قال متوجعاً : « هذا صحيح يامادودا ، لقد أخطأت • لقد وضعت اذن المرور في حوائجي • نسيته في سترته في حقيبتي • »

قال أحد جنديي الاحتياط في لهجة عدوانية : « كيف نعرف أنـك لست كاذباً ،ها ؟ »

وظهر الاحتياطي الثاني أشد بشاعة وقسوة أيضاً : « يجب أن تؤخذ ببلادتك • هذا سيقودك الى السجن مباشرة ، لا الـى زوجتك •

ـ أيها الاخ ، دعك مكاني • لقد مضى علي عامان لم أر خلالهمـا عائلتي • هذه هي المرة الاولى التي يمكنني فيها أن أتوجه لاحتضن بين دراعي صغيرتي التوأمين اللتين ولدتا حين كنت هنا • اعثر على زنجي آخر بائس ، من فضلك ، ياأخي العزيز • سامحني لهذه المـرة •

ـ وماذا أيضاً ! ليس مهماً أن نصدم الأطفال • نحن أيضاً لدينـا عائـلات • حتـى أننا نعمل في سبيلهم في هذه اللحظـة •

كان ذلك رد الآخر بوحشية معانـدة •

ـ ولكنك يامفو ، ألم ترتكب ، أنت أيضاً ، حطيئة الآن ؟ »

كان على الرجل المحتجز ألا يطرح هذا السؤال • كان الرد عليه مصحوباً بصفعة قوية على وجهه • « هل تظنني حيواناً مثلك ، ها ؟ كبل هذا الرجل ، يامازيبوكو ، قيده بهذه الاغلال السيئة ، هذا الكلب •

فاقترح أقلهما وحشية : ـ

ـ كلا ، ياعزيزي ، دعني أتحدث الى هذا البائس ، ربما يمكنه أن يفعل لنا شيئاً مقابل حريته .

ثم سحب الرجل بعيدا عن الأسرى الآخرين .

« نعم ، تدبر أمره أنت بنفسك يامزيبوكو . أنا لايمكنني أن أتحمل أن أوجه كلامي الى فلاحين بليدين من أمثاله . سأخنقه بيدي ان فكر بأني جئت الى جوهانسبورغ لأتسلى ! » كان الغضب في صوت الرجل مصطنعاً . كان أشبه بصوت نذل يريد أن يخيف أحدهم باخضاعه لرحمته . حتى أني أعتقد أنه لايستطيع أن يجابه فأرة . واقترب من مراهقين ونبشهما ، لكنه لم يطلب اذني مروريهما .

وأوضح الاحتياطي للرجل الموقوف الطريقة الوحيدة للخلاص ، بصوت متملق ، أفسدته الرشوة ـ الباعث الاوحد والوحيد الذي دفعه للانخراط في الشرطة : « أنت ترى ياصديقي ، انك في ورطة حقاً . أنا وحدي من يستطيع مساعدتك . ان الرجل الذي أوقفك ليس في يوم طالعه . سأدافع لصالحك ، ولكن عليك أن تبذل جهداً بسيطاً . »

« ليس في جيبي فلس واحد . كل ما أعطيت من نقود خلال عملي صرفتها في شراء مؤن وهدايا لعائلتي وبطاقة القطار . انظر ، ياسكوزي ، عندي بطاقتي فقط والشيكات التي تسمح لي بسحب النقود عندما أصبح في بيتي . » وأخرج أوراقه وفك بزة عمله حتى خاصريه ، بحيث

أمكن مشاهدة بنطلـه الكستناوي الذي يلبسه تحتها • وقلب جيوبه القـذرة • « ليس غير هذا في جيوبي ، سيدي ، بكل احترام •

ـ اسمع !

ـ نعم ، سيدي ؟؟

ـ هل تريد أن تعود لبيتك وترى زوجتك وأطفالك ؟

ـ نعم ، أرجوك ، أيها الاخ ، دعني أذهب !

ـ اذا لماذا ترني هذه الشيكات المفلسة ؟ انها ستقيت أطفالـك انت ، لاأطفالي • حين تعود الى بيتك ، ستسحب نقودا ويحك أطفالك بطونهم ويقيلون بعد وقعة طعام طيبة ، أما أنا فسأفقد عملي لانـي تركتك تنصرف ، وعندئذ لايبقى أمام أطفالي الا أن يبحثوا في صناديق القمامة مع الكلاب • أنت ترى أنك لست طيباً أيها السيد • » والتفت الى شريكه : « هيه ، ياباپولي ، رجلك يقول أن ليس لديه شيء • ومع هذا سيلحق بعائلته التي لم يرها منذ عامين !

ـ قلت لك أن تضع الاغلال في يديه • من الراجح انه يخفي مالا بسيطاً في ثيابه الداخلية • ولربما أنه خجل من اظهار ذلك أمام الملأ • ولكن هذا سيتم في المخفر ، أو في الزنزانة عندما يهزمجنودنا المستجدون •

ـ هي ، تعال هنا أنت ، يديك ! »

وحاول هذا أن يخلص يديه، وارتفع صوته اليائس : «آ ، ياصديقي أنتما جديان ؟ تريدان اعتقالي حقاً ؟ سامحاني ! من فضلكما . »

وأعقب ذلك صراع بين الرجلين .

« تقاوم الاعتقال ؟ يالك من ... » وانصب سيل من الشتائم يشرّح والدتـه .

كلا ، كلا ، أنا لاأقاوم ، ولكن استمعا الي ، من فضلكما ! » وكافح الرجل ونجح في التخلص من شد الاحتياطي اليه . لـم يكن الاخير غـيرَ قطعة شحم بلا لحم يكسوها ، فتراجع ثلاث خطوات وصرخ وسقط فوق آخر مقطورة . كانت نظرته نظرة قاتل حين عاد ووقف على قدميه بسرعة مذهلة بالنسبة لمثل كتلته . وغادر شركاؤه مراكزهم مسرعين وانقضوا على الرجل الاعزل أشبه برهط ضباع منقض على هيكل عظمي . فوجد الآخرون الذين سلبوا فوق الجسر في ذلك فرصة للهـرب والذئاب ماتزال منشغلة . وتزلوا الدرجات بسرعة وصعدوا موهـال ستريت بسرعة خيول السباق . كان شابان قد أوثقـا معاً ، فانتهـزا تحول الأنظار عنهماو اندفعا مترادفين في أول شارع صادفهما ، يحملان أغلالهما معهما . كانا يركضان على نحو غريب ، موثوقين كل منهمـا الى الآخر من يديهما ، لكنهما كانا شابين وفي صحة جيدة ، يحسنان التخلص من هذه الورطة ، بالنظر للظروف .

لم نستطع أن نتحمل وقتاً أطول ما كان يعانيه الرجل الآخر من لكم مبرح ٠

« هيي ! هيي ! أيها الأوغاد ، كفوا عن ضربه بهذا الشكل ٠ أودعوه السجن ان شئتم ، ولكن كفوا عن ضربه ٠انكم توشكون أن تقتلوه ، أيها القذرون ! » ورحنا نحتج بصخب ٠ وتشكل حشد غفير ٠ صاح أحدهم: « توقفوا ، والا ستميتونه الى الابد ! » ٠

وتوقف المهووسون ، مظهرين نتيجة عملهم القذر ٠ كان الرجل يئن في أسفل السياج ، في الجنب الآخر من الشارع حيث يتكدس الغبار، وتلوى محاولا أن يجلس ٠ كان يغطي وجهه الغبار والدم ، وقد انزلقت الاغلال في معصميه حيث بلغت هدفها ، وفي وجه مشوه القسمات الى حد بشع ٠ ولكن هذا لم يكن كافيا بالنسبة للرجل السمين ٠ فركع وامسك بقبضتي الرجل النائح يريد ربطهما بأغلال بالحاجز ٠

«هيي ، هيي ، هيي ! أيها الشيطان ! دعه يذهب ٠ ألا ترى أنك ضربت كثيرا هذا الرجل ؟ »

أصبح الجو متفجراً ، وشعر بذلك الشرطي المرتدي بزة ٠ قال وهو يرشق نظرات قلقة في كل اتجاه : « دعوه يذهب أيها الشباب ٠ سامحوه ٠ دعوه يذهب » ٠

حينئذ ، أتى الرجلُ المضروب بما لم يكن متوقعاً ، وممزناً جدا ٠ ركع أمام الذي امر بتخلية سبيله ، وقال ويداه يغطيهما الغبار وقد

ضمهما في حركة توسل الى ركبتيه : « شكرا جزيلا ، سيدي ، فليباركك الله . الآن يمكنني أن أجتمع بصغيرتي التوأمين وعائلتي . »
ولو خطر في باله أمر في لحظة هذا العفو ، لقبل حذاء الشرطي اللماع حـدا .

ونفض المسكين الغبار عن ثيابه بقدر مااستطاع ولملم صرتيه وتسلق الدرجات بعناء وهو يحاول ، بوجهه المقطب ، أن يشكر الجمهور الذي صرخ دفاعاً عنه . وقـرر الشرطي أن يكون هذا يوم حلمه . ودفع قطيع البائسين الآخرين الى الكويلا ــ كويلا المنتظرة .

حاولت أن أتصور كيف سيفسر الرجل وجهه المتورم لزوجته . وتصورته كيف يقذف توأميه في الهواء ويلتقطهما ، أيضاً وأيضاً ، ويحتضنهما ويلعب معهما .

وهمس في أذني ماندال : «أمامنا طريق طويلة نجتازها ، ياصديقي» .
فسألته : « لنذهب أين ؟

ــ قبل أن نصل الى الجحيم . ها ! ها ! ربما هنالك نصبح بشراً .

ــ آه ! نحن نسير فيه منذ زمن طويل . نحن في الجحيم منـذ زمـن بعيـد .

ــ قبل أن نخرج منه ، اذاً ...

السّادية وقتل الأطفـال

في «مُرتفعات وذرنــغ»

ويـدطومسون ○ ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

سوف تقدم هذه المقالة تفسيراً لـ « مرتفعات وذرنغ » قائماً على السادية الشاذة التي كوّنت تصور املي برونتي للعلاقات الانفعاليـة وستكشف عن دلالة انهماكها في « قتل الأطفال » . فالمرء اذا لم يدرك أهمية قتل الأطفال والسادية في « مرتفعات وذرنغ » فانه لن يستطيـع أن يدرك طبيعة الهوى بين كاثرين وهيثكليف ، وأنا مؤمن أن ذلك الهوى ظل مستعصياً على الفهم باستمرار ، ولا أن يفهم الباعث على قتل هيثكليف لابنه . ان محاجتي الرئيسية هي أن « مرتفعات وذرنغ » هي في جوهرها كتاب منحرف ـ وأنا أستخدم هذا المصطلح مجرداً من دلالاته اللاإدراكية المألوفة ـ وأن قوته مدينة لانحرافه على وجـه التحديد .

ـ ١

يمكننا أن نلاحظ في المقاج الأول أن الأطفال في « مرتفعات وذرنغ »* كالأطفال في أسرة برونتي قد تُركوا ليعتنوا بأنفسهم في بداية الحيـاة

* Wade Thompson « Infanticide and Sadism in Wuthering Heights », Publications of the Modern Language Association, vol. 78, 1963.

دون أن يلقوا حب الأمهات أو حمايتهن • ان كاثرين ايرنشو لم تكن قد أتمت الثامنة من عمرها عندما تموت أمهـا ، وولادة كاثـي لينتـون تترامـن مع موت أمهـ ، وأم هيرتون تموت في سنة مولده ، وهيثكليف يتيتم وهو في السابعة • وحتى الأطفال الذين يتلقون الرعاية الاموية في طفولتهم لا ينعمون بها طويلا بعد أن يبلغوا سن البلوغ • فيفقـد لينتون هيثكليف أمه قبل أن يتم الثالثة عشرة من عمره ـ ولا شك أن لينتون يظل طفلا طوال حياته ـ وتتيتم ايزابيلا لينتون وهي في الرابعة عشرة من عمرها • والاستثناءان الوحيدان ـ وهم غير مهمين ـ هما هندلي ايرنشو وادغار لينتون ، اللذان يكونـان في السادسة عشـرة والثامنة عشرة على التولي عندما تموت أم كل منهما (وحتى أم كل منهما لاتبدو « أمومية » جدا)(١) •

والأطفال المحرومون من أمهاتهم (٢) ، يجدون أنفسهم في صـراع البقاء الضاري مع البالغين المفعمين بالعدوانية الذين يبدون وقد تملكتهم الرغبة في قتلهم أو تشويههم • ومن الحلم الذي رآه لوكوود حول حـذب

(١) انني مدين للدراسة الكلاسيكية التي كتبها سي.ب . سانجر C. P. Sanger وعنوانها (بناء مرتفعات وذرنغ » بالنسبة الى التواريخ والاعمار .

(٢) خلال الرواية توضع امام القارىء تنبيهات عرضية الى الحرمان من الحب الامومي . ففي الفصل الافتتاحي ، مثلا ، تتلقـى الجراء الصغيرة الحماية الزائفة من كلبة الصيد الكبيرة ـ وهذا النوع من الحماية لم يعرفه الاطفال ابدا . وثمة استعارات متناثرة تحمل التشبيه نفسه ، ومنها : « لم يكن بوسع اي ام ان ترضع طفلا واحدا باخلاص اشـد » ، « ان اي طائر عائـد الى العش المسلوب الذي كان طافحا بسقسقة الطيور اليافعة لايعبر عن اليأس اكثر من ذلك ... »

معصم الطفلة ـ الشبح كاثرين الى حافة النافذة المثلمة ، الى ابتهاج هيثكليف بالقضاء على حياة ابنه السريع النمو ، تمثل الرواية عدداً وافراً من الانحرافات الملحة على موضوع قتل الاطفال المروّع • وعندما يؤتى بهيثكليف وهو صبي الى منزل ايرنشو فان رد الفعل الأول عند مسز ايرنشو هو أن « تطوّح به خارج الأبواب » • في تلك الليلة تقوم حتى نلي دين اللطيفة الرقيقة الفؤاد (٣) بوضعه على منبسط السلم آملة « أن يكون في الغد قد اختفى » (الفصل الرابع) • بعد ذلك يقبض عليه المستر لينتون العجوز متلصصاً عليه ومعه كاثرين قرب ثرشكروس غرانج فيهتف على التو « انه مجرد صبي ••• أليس من الرحمة بالبلاد أن نشنقه فوراً ••• ؟ » وتطلق ايزابيلا هذه العبارة بلهجتها الطفولية : « شيء رهيب ! ضعه في القبو ، يا بابا » (الفصل السادس) •

ويعيش الطفل هيرتون ايرنشو في خطر أكبر • والدافع الأول عند هندلي عندما يكون مخموراً هو أن يقتل ابنه ، الذي تحميه نلي دين على الدوام • وفي وقت ما ينقذ هيثكليف هيرتون مصادفة من السقوط، ولكن الخطأ أثاره الى حد أنه « لو كان المكان مظلماً ••• لحاول اصلاح

---

(٣) يستنتج جيمس هافلي James Hafley بان نلي دين هي النذلة الماكرة وان هيثكليف انما هو نوع من مغفل الذي لم يدرك قدرها : « The Villain in Wuthering Heights », Nineteenth - Century Fiction, vol. 13, 1958, pp. 199 - 215. ان هذه المعالجة مبالغ فيها على نحو غير معقول ، ولكنها محقة في الاشارة الى ما في حيل نلي دين وذرائعها من قسوة . والواقع ان نذالة نلي دين هي نذالة العريف الذي يود ان يصبح رقيبا اول ويريد ان يؤثر بشتى الوسائل في الضباط من اجل ان ينال الرتبة .

الخطأ بتحطيم جمجمة هيرتون على درجات السلم (الفصل التاسع)·وفي وقت لاحق تتملك هيثكليف رغبة جامحة في أن « يلوي » حياة هيرتون ، ويقول : « سنرى ان كانت الشجرة لن تنمو معوجة كالأخرى » (الفصل السابع عشر) ، ونلي دين تعتقد أن « التربة » الطبيعية لهيرتون قد تثمر « محصولا خصبا » دون أن يتعرض لهذه الاعاقة المتعمدة ·

ويفلح هيرتون بطريقة ما في البقاء على قيد الحياة ، الا أن لينتون هيثكليف يعذبه أبوه تعذيباً بطيئاً حتى اموت بعد أن سيطرت عليه الرغبة في قتله : « لو ولدت في مكان فيه القوانين أقل صرامة والأذواق أقل أناقة ، لسليت نفسي بتقطيع أوصال هذين الاثنين (لينتون وكاثي) حيين تقطيعاً بطيئاً ، وجعلت من ذلك لهو المساء · » (الفصل السابع والعشرون) ·

وحتى في ثرشكروس غرانج ، حيث لايتوجب على الأطفال أن يحبسوا أنفسهم خشية أن يقتلوا ، فان القلق على سعادتهم شاذ والمشاعر الأمومية ليست قوية · وكاثي هي لدى ولادتها طفلة « غير مرحب بها » و «مهملة» ، و « عندما استقبلت الحياة بالبكاء ، لم يهتم أحد باطعامها لقمة ، في الساعات الاولى من الوجود » (الفصل السادس عشر) · ومن الواضح أن ايزابيلا حتى وهي أم تنتظر مولودا لاترغب في الأطفال وتأمر نلي دين « أن تبعد طفلة كاثرين المسكينة : انني لاأود أن أراها ! » (الفصل السابع عشر) · وكذلك فان ادغار لينتون ، على

الرغم من رعايته الودود ، فانه يضمر فكرة قتل ابنته بدلا من زوجها لينتون • يقول : « الأجدر بي أن أتخلى عنها للاله ، وأن أوسدها الثرى قبلي • » (الفصل الخامس والعشرون) •

وتمتد ثيمة قتل الاطفال رمزيا في الرواية عبر قتل الحيوانات الضعيفة العجزة • ففي بداية الرواية يجد لوكوود كومة من الارانب الميتة في منزل هيثكليف •

وفي احدى المناسبات تقتحم ايزابيلا على هيرتون الذي كان يشنق مجموعة من الجراء من أسفل الكرسي (الفصل السابع عشر) • ويظهر هيثيكليف لايزابيلا أي نوع من البشر هو بشنقه كلب صيدها الصغير المدلل • وفي هذيان كاثرين وهي على فراش الموت تتذكر كيف رأت هي وهيثكليف عش الزقزاق «المليء بالهياكل العظمية الصغيرة • فهيثكليف قد نصب فخاً فوقه ، فلم تجرؤ الطيور الكبيرة أن تأتي اليه » (الفصل الثاني عشر) • والتسلية الأثيرة عند لينتون هيثيلكليف هي تعذيب الهرر التي اقتلعت أسنانها ومخالبها حتى الموت •

ان قتل الحيوان الضعيف بشكل أساس لتشبيهات عديدة • وهكذا لم يستطع ادغار ليتون أن يترك كاثرين أكثر مما تستطيع الهرة أن تترك « فأرة نصف مقتولة ، أو طائرا نصف مأكول • » وايزابيلا بين يدي هيثكليف أشبه بـ « الكناري في الحديقة العامة في يوم من أيام

الشتاء • » أو أن هندلي ايرنشو أشبـه بـ « الخروف الضال » الـدي « تخلى عنه الله » وهيثكليف هو « الحيوان الشرير » الذي « يطوف خلسة بينه وبينِ حظيرة الخراف » •

ومن ثم ترينا املي برونتي مباشرة وبشكل عير مباشر عالماً يعيش هيه اليافعون والصعاف في خطر دائم • والقدر الذي كانت فيه هذه الرؤية ملزمة للكاتبة قد تدل عليه المثابرة على موضوع قتل الأطفال في شعرها • فالقصيدة التي فاتحتها « كان ليلا ، وقد جمعها رفاقها كلها » تنص خصوصاً على فعل قتل الطفل الرهيب •

قل ، ان الاثم لن يخلع الشحوب على ذلك الخد
ولا الوصمة المعذبة ستخلعه على ذلك الجبين ،
تكلم ، برحمتك ، ايها الخالق ، تكلم ،
وجنب الامان من المصيبة .

وعند هذه النقطة يدرك المتكلم نيتها :

لماذا شككت ! تحت سيطرة الله
تبقى اقدارنا المشتركة ،
وروحي الصافية الملائكية كما هي الان
ينبغي ان تذهب الى السماء من جديد

وثمة قصيدة أخرى بدايتها « رأيت هذه الوهدة في ضياء تموز » (H. 150) ، تذكر توق الامم الى الصيف ، لان « ضياء تموز » سيكون الجو المثالي لقتل ابنتها • وحيث كان عليها أن تقترف جريمة قتل الطفلة في الشتاء :

رداها ايتها الطفلة الملعونة ، المنبوذة ،
لا استطيع تحمل رؤيتك ثانيــة .

ولم تستطع حتى قارئة شديدة الملاحظة من مثل فاني راتشفورد الا « تدريجياً وعلى مضض »(٤) أن تتبين قتل الأطفال الذي لامبرر لـه فـي قسـم روزينـا (أو١ ج١٠) أو جيرالدين وكمـا أشـار ليستر بـرادنـر فـان املي برونتـي تبـدو هاجسـة برؤيـة الطفـل اليافـع الجميـل السعيد يشب الـى حياة البؤس أو الجريمـة أو كليهما معا . فمن الواضح أن الموت للطفل أفضل من الحياة(٥) .

وتعبر القصيدة بعد القصيدة عن الاحساس بالتملك الكامل الارغامي، المعروف في الطفولة ، والذي لايسترد الا في الموت ـ على الرغم من أنه كان لقتل الطفل نوع من التبرير الديني . وهكذا فقد ارتبط الموت والطفولة بشدة بسلسلة من تداعيات املي برونتي .

والرابطة الأخرى في السلسلة هي انتشار الالم مما يجعله شرطاً جوهرياً للحياة والهيجانات الوحشية للقسوة والعنف في « مرتفعات وذرنغ » هي من الحيوية مايجعل المرء لايلاحظ كيف يغدو نزول الالم المتكرر امراً متوقعاً بوصفه النتيجة الطبيعية . الضغط المؤلم ، والصفع ، وشد الشعر يجري باستمرار . فكاثرين توقظ نلي دين ، لابهزها بلطف ، بل بشد شعرها . وتسمع نلي دين « توبيخاً مدوياً » من فم كاثرين الوقح . وعندما تغدت كاثرين أول مرة عند آل ايرنشو ، كانت « فـي

4 — Fanny Ratchford, Gondol's Queen, McGraw - H.ll, 1955, p. 122 .
5 — Leicester Bradner « The Grouth of Wuthering Heights », PMLA. vol. 48, 1933, pp. 129 - 46.

أقصى مرحها ، تقسم طعامها بين الكلب الصغير و « سكلكر » الـذي كانت تقرص أنفه وهو يأكل ، وتضرم شرارة الروح في عيون آل لينتون الزرقاء الخالية من التعبير » (الفصل السادس) • بعد ذلك كانت من شدة بهجتها تقول : « لو صفعني أقل مخلوق في الحياة على خدي ، لما اكتفيت بأن أدير له الخد الآخر ، بل لسألته الصفح عن اثارتي له » (الفصل العاشر) •

ان الألم ، النازل بالجرح والطعن، يشكل النقطةالحيويةلتشبيهات عديدة • فتتحدث نلي دين عن « الهواء الصقيعي الذي كان يجرحكتفيها كأنـه سكين » • وفي احـدى المناسبات ، كانت ايزابيلا تصرخ « كـأن السحرة يحركون فيها الابر الملهبة » • وعندمـا كـان هيرتون يمد يده على استحياء ليمسد عقصة من شعر كاثي فكأنه « كان يغرز السكين في عنقها، فأخذت تستدير من جراء ذلك » • وكان لينتون « يؤكد أن طعنة السكين لن تكون عنده أشد ايلاما من رؤية زوجته معتاظة » •

وفي اسلوب كهذا كثيرا ما يوحي الالم بتهديدات الخنق ، أو قطـع الهواء ، أو الشنق • وهكذا فان لينتون هيثكليف ، وهو الذي على شف « الخنق » دائما ، لا يريد أن تقبله كاثي لانه يخشى أن يفقد أنفاسه • وهيثكليف يهدد بأن « يشنق » كاثي اذا لم تكن هادئة • وحتى الصفات والافعـال بكتنفهـا الخنق • فتساقط الثلج « خانق » •وهيرتون « أخمد

العاصفة بالسباب الوحشي » والزوار قد اختنقوا في العباءات والفرو (١) •

وباختصار فان عالم « مرتفعات وذرنغ » هو عالم السادية والعنف والوحشية المفرطة ، وفيه على الاطفال ـ المحرومين من حماية أمهاتهم ـ أن يحاربوا من أجل الحياة البالغين الذين لا يكادون يظهرون لطفا أو حبا أو رحمة • والانفعالات الطبيعية تكاد تكون مقلوبة قلبا كاملا : فالبغض يحل محل الحب ، والوحشية محل الرقة ، ويعتمد البقاء في الحياة على قدرة المرء أن يكون خشنا وقاسيا ومتمردا •

— ٢ —

عندما يتأمل المرء في الخطر غير المحتمل للالم والموت اللذين يخضع لهما الاطفال في « مرتفعات وذرنغ » فانه يصطدم بالسخرية الرهيبة في أن كاثرين ، بعد موتها ، تود أن تعود ـ وتعود حقا ـ لا بوصفها بالغة بل طفلة • وكانت نلي دين عاطفية أكثر مما ينبغي ، ولكنها كانت على حق في وصف موتها لهيثكليف بقولها : « انها تضطجع » وعلى وجهها ابتسامة حلوة ، وآخر أفكارها تطوف حول أيامها الاولى السارة • » وكانت رهبة تلك الايام بادية ظاهرة ، ورغم ذلك فان رغبتها في العودة اليها تصبح واضحة اذا فهمنا شخصيتها حق الفهم •

---

(١) يلاحظ مارك شورر Mark Schorer أن « املي برونتي توصل تشبيهاتها في الحياة الفارية للحيوانات وفي الحياة القاسية للعناصر ـ النار والريح والماء » :
Fiction and the « Matrix of Analagy », Kenyon Revieuv, vol. II, 1949, p. 545.

ويضاف الى ذلك أن العديد من تشبيهاتها الفعالة متاصلة في الالم ـ الجرح والطعن والخنق .

ان كاثرين الطفلة ذات نوع من القوة الذكورية التي لا يمتلكها عادة الا أشد البالغين قسوة ، فهي لها قدرات غير طفولية على ضبط النفس والتحمل والتمرد الطويل ، وبوسعها وبيسر أن تكون على مستوى الالم • وتتذكرها نلي دين وحشة صغيرة فاسدة الخلق : « كانت لها طرق لم أر طفلة تتبناها من قبل ، وكانت تفقدنا الصبر خمسين مرة وأكثر في اليوم » (الفصل الخامس) • « ولم تكن تبلغ من السعادة ذروتها الا عندما نقوم جميعا بتوبيخها ، فتتحدانا بنظراتها الجريئة الوقحة وكلماتها الجاهزة » •

وهكذا كانت من القسوة الى حد أن بوسعها أن تضحك في أثناء العقاب • وكان أعظم مسراتها أن تجري مع هيثكليف الى المستنقعات في الصباح وأن تظل ثمة طوال اليوم • والعقوبة التالية قد لطفها الاحتيال ليس غير • « تصميم على الثأر سيء السلوك » • ففي الوقت الذي تزور فيه ثرشكروس غرانج تكون قادرة على عدم الاكتراث بالالم بسهولة مذهلة • ويروي هيثكليف : « جرينا من قمة المرتفعات الى الحديقة ، دونما توقف ـ وقد انهزمت كاثرين في السباق هزيمة منكرة ، لانها كانت حافية القدمين » (الفصل السادس) • وخلال التجربة نفسها عضها البلدغ (وهو نوع من الكلاب) ، ورغم أنها كانت « مريضة ••• من الالم » تدعو هيثكليف ، لا أن ينقذها ، بل أن ينقذ نفسه • « انها لم تصرخ ـ لا ! وكانت تزدري أن تفعل ذلك لو أن بقرة مجنونة غرزت فيها قرنيها • »

ابان هذه الفترة الباكرة (تشير حادثة ثرشكروس غرانج بجلاء الى دخولها في سن البلوغ ـ في الثانية عشرة من العمر فقدت أبا تمكنت من أن تسوسه بيسر ، وحظيت ببديل لم تتمكن من ذلك معه) ، هي لا تصرخ ، ولا تفقد ثقتها بنفسها ، ولا تتخلى عن اتزانها المتغطرس ٠

وفي الوقت نفسه يثبت هيثكليف أنه رابط الجاش لا يبالي بالتخويف بالالم أو العذاب ٠ فعندما يقذفه هندلي بالثقل الحديدي خلال الجدال حول المهرين ، تستبد الدهشة بنلي دين « لمشاهدتها كيف استجمع الغلام نفسه ، واستمر على قصده ، فاستبدل الصهوات وكل معدات المهر ، ثم جلس على حزمة من القش ليتغلب على الغثيان الذي احدثته له الضربة العنيفة ، قبل أن يدخل الدار » (الفصل الرابع) ٠

ويقيم هذان « الطفلان » شبه الشاذين معا علاقة باطنية ، شكلها الالم وعبر عنها العصيان ٠ وهما يشعران بالتماثل المطلق مع بعضهما ٠ فهيثكليف لا يستطيع أن يتصور نفسه يسلك مع كاثرين كما يسلك ادغار لينتون مع ايزابيلا : « أضبطتني أريد شيئا أرادته كاثرين ؟ أم أوجدتنا منفردين نبحث عن التسلية في الصراخ والنشيج والتدحرج على الارض ، تفصلنا الغرفة بكاملها ؟ » (الفصل السادس) ٠ وكاثرين هي كما نذرت نفسها ٠ انها تصر : « أنا هيثكليف » ـ وما دامت تستطيع أن تتماثل معه فهي قوية ٠

وكثيرا ما تشي بحدة علاقتهما ايماءات سفاح القربى والجنسية الطفلية ٠ ومن الممكن وفي يسر أن يكون هيثكليف أخا كاثرين غير

الشقيق ـ ونحن على الاقل مطالبون بأن نفكر في هذه الشبهة (٧) ـ وكاثرين في كل الاحيان تقريبا تستخدم اللغة المجازية لسفاح القربى لتعبر بها عن كلفها بهيثكليف : « الجوهر الشيطاني نفسه » • وكنت هي وهيثكليف ينامان معا حتى تجاوزت الثانية عشرة ، وأخذت تصرخ في أول مرة فصلهما هندلي عن بعضهما فلم يعودا شريكين في السرير •

ويبدأ تحطم شخصية كاثرين بحادثة ثرشكروس غرانج • فهي تعجز عن رؤية أن دخولها سن البلوغ يقتضي تغييرا جذريا في علاقتها بهيثكليف ، ويعوزها أن تفهم سلوكها بعد عودتها الى مرتفعات وذرنغ (الفصل السابع) • ويظل موقفها منه كما كان قبل البلوغ ، على أنه يرتد « بشك غاضب عن ملاطفاتها الانثوية » •

وبحضوره تظهر احتمالها الذكوري للالم وازدراءها للمآخذ التي اتصفت بها طفولتها • وعندما يقذف هيثكليف صلصة تفاح حارة في وجه ادغار لينتون ، تلوم ادغار لاثارته له ، وتضيف : « انه سيجلد ،

(٧) ان المستر ايرنشو لايفسر تفسيرا مقبولا لم جاء بهيثكليف الى مرتفعات وذرنغ في المقام الاول ، ولا يفسر ـ وهذا ادعى الى الريبة ـ لم يؤثر هيثكليف على اولاده الآخرين . وتساءل ثلي دين نفسها ، دون مسوغ ، وكأنها تلقن القارىء : « من أين جاء هذا الشيء الصغير المظلم الذي الجاه اليه رجل طيب ليخربه ؟ » وقد لاحظ اريك سولومون حديثا « الهالة الغامضة المتعلقة بسفاح القربى حول الحبكة الكلية لـ « مرتفعات وذرنغ » واضاف ان كاثرين وهيثكليف لو كانا اختا وأخا حقيقيين لازدادت « مأساة مرتفعات وذرنغ حدة وحتمية » (« The Incert Theme ın Wuthering Heights » , Nineteenth - Century Fiction, vol. 14, pp. 80 - 83, 1959).

وأنا أكره أن يجلد ! لاأستطيع أن أتناول غدائي » ، وتحتقر نشيج ادغار وتبدي الملاحظة الازدرائية : « حسناً ، لاتصرخ ... انك لست مقتولا . » وهي نفسها تصرخ بتعاطف مع هيثكليف ، ولكن ذلك لم يكن الا بعد سعي شجاع الى كبح دموعها .

وهي حتى بعد زواجها فظة وذكورية بحضور هيثكليف . انها تحتقر زوجها لصراخه ، وتزدري « نحيبه من أحل الاشياء الصغيرة » و « نكده التافه » . وتقف الى جانب هيثكليف في ذروة شجاره مع ادغار ، وعدم رحمتها هي مرعبة حقاً . انها تقول لزوجها : « اذا لم تكن لك الشجاعة لمهاجمته فاعتذر والا فدع نفسك للضرب » (الفصل الحادي عشر) .

ومهما يكن ، فان مصدر قوتها هو هيثكليف . فمن دونه كانت تجد نفسها تدريجياً غير قادرة على تحمل الالم أو المحافظة على ضبط النفس ، ويتعذر عليها التحكم بمزاجها . وفي أثناء الزيارة الاخيرة التي قام بها ادغار لينتون لمرتفعات وذرنغ تفقد اتزانها في جدالها مع هيثكليف ، فبعد أن تقرص نلي دين وتصفعها تهز هيرتون الصغير « الطفل الذي زاد نموه » وتلكم ادغار على أذنه ، وتصر « أنا لم أفعل أي شيء عامدة » ، وتبدأ البكاء « في جدية بالغة » . وعندما تكبر أكثر من ذلك ، يصبح الالم لايطاق ، فتصرخ لاتفه الاسباب وتلجأ الى نوبة الشكاسة ورثاء الذات . « ان كاثرنيتنا النارية لم تكن أكثر من طفلة باكية » ،

هكذا تلاحظ نلي دين المرأة النامية التي في وسعها أن « تضرب هيرتون ، أو اي طفل ، في نوبة الغضب الصارخ » ·

وزواجها بلينتون لايخدم الا في اضعافها ، والتطاحن بين هيثكليف ولينتون يدمرها في النهاية تماماً · فهي تلجأ الى « الثورات الشريرة الحمقاء » · و « كانت تستلقي وتضرب رأسها على ذراع الاريكة ، وتصر بأسنانها حتى ليخيل اليك أنها ستحطمها حتى تتناثر شظاياها » (الفصل الحادي عشر) · ان الفتاة التي استطاعت يوماً أن تبتعد عن كل أهل البيت من البالغين الغضاب هي الآن فاقدة رباطة جأشها · تتصور أن كل امرىء ضدها : « ظننت أنهم ، وان كان كل منهم يكره الآخر ويحتقره ، لايملكون أن يتخلوا عن محبتي · وفي بضع ساعات تحولوا جميعا الى أعداء لي · لقد تغير الناس هنا ، وأنا على يقين من ذلك · » (الفصل الثاني عشر) · ان أخيلتها رهيبة كأحلامها ، وأحلامها تروعها · وفي هذا الوقت هي فاقدة الاستحواذ على الواقع تماما · ترى وجهاً في الخزانة السوداء التي لم يكن لها وجود · « آه ، يانلي ! الغرفة مسكونة ! أخاف أن أكون وحدي ! »

واذن فان في حياة كاثرين القصيرة انقلابا كاملا في الادوار · فهي بالغة عندما كانت طفلة ، وحتى وقاحتها مبنية على قوة داخلية · وعندما تكون بالغة تصبح طفلة ، وألم الحياة يثبت أنه لايطاق · انها تصيح بشكل محزن : « ليتني أعود طفلة من جديد ، نصف متوحشة

وجريئة ، وحرة ... ضاحكة على المظالم ، لامجنونة تحت وطأتها . » (الفصل الثاني عشر) . وتذكر أنها كانت قوية يوماً وتعرف أنها لم تعد قوية . وعلى ذلك فان من المنطق في حالتها الروحية أن يكون دورها لا السيدة المحصوبة التي تنادي حبيبها عند المستنقعات المنعزلة (التي ستكون بالتأكيد الامل « الرومانتيكي ») بل للفتاة الصغيرة التي تعود الى « البيت »(٨) .

— ٣ —

عندما تعود كاثرين الى دور الطفلة تنهي حنينها الى العودة الى قوة طفولتها ، وهي الى ذلك تظهر أنها في حالة الطفولة وحدها قادرة على أن تحب هيثكليف . وبعد البلوغ لم يعد في وسعها أن تحول ميلها الطفولي الى التماثل (تقول « أنا هيثكليف » ولكن المرء لايتزوج نفسه ، نوعه) الى عاطفة اتحاد الضدين . وزواجها بلينتون ، الشخص الضعيف اللين المحترم ، هو في جوهره فرار من المطالب الجنسية للبالغ ، وهي ترى أنه ليس ثمة خيانة لهيثكليف في هذا الفرار . وهيثكليف هو

---

(٨) من موضوع شغف املي برونتي مقلبيت كتب ج.س . سميث J. C. Smith « ان حب البيت هو حبها المسيطر لبيت طفولتها » (« Emily Brontë : A Reconsideration », Essays and Studies, vol. 5, 1914, p. 144).

ويؤكد ريتشارد تشيس أن « الطفولة هي الثيمة الاساسية في كتابات املي برونتي : (« The Brontes : A Centennial Observance », Kenyon Review, vol. 9, 1947, p. 505).

عندها ، وسيظل دائماً ، محبها « الطفولي » المتوحش ، ولينتون هو المحب « البالغ » المحترم ، والمحبان منسجمان عندها كل الانسجام . نها لاتغار على هيثكليف وتستطيع أن تفهم غيرته عليها ، هي ببساطة ترى « حبها » له مختلفاً كل الاختلاف عن « حبها » لليبتون .

وانها على حق . ف « الحب » الذي تستطيع أن تقدمه لهيثكليف ما هو الا « الحب » الذي قدمته له طفلة ـ وهو تماثل خشن ذكوري ، نشأ في الالم ، وعبر عنه الالم ـ ولكن ليس فيه مايشبه حب البالغ الطبيعي : لاشبق ، ولاجنس ، ولا لذة ، ولا اشباع[٩] . و « حبها » معبر عنه في الالم والكره والاتهام المضاد القاسي . وشد الشعر والقرص هما نموذجاها لتعبير الحسدي . ومن المؤكد انه لايمكن تصور مشهد خال من الجنس وشاذ أكثر من المشهد الاخير بينها وبين هيثكليف[١٠] : تقول له « لن

(٩) ان شذوذ حبهما ينعكس في العديد من قصائد الحب عند املي برونتي ، وفي ذلك يقول تشارلز مورغان Charles Morgan «المكرثمة في اي وقت قصائد حب اكثر تحررا من قصائد هاذات اللغة المجازية الجنسية» « Emi.y Brontë », The Great Victorians, ed. H J. and Hugh Massingham, 1932, p. 79.

(١٠) يشك المرء في ان بعض النقاد يقرأون هذا المشهد والدموع مغرورقة في عيونهم . وهكذا فان جيمس فذرنغهام James Fotheringhom يذهب الى ان « هيثكليف يصب كل عاطفته المحاطة بالسخرية والاحساس بالخطا ـ وكاترين ذابلة ، منهوكة القوى ، ولكنها جميلة فاتنة كما كانت ـ وهيثكليف تتنازعه عاطفة الحب وعاطفة الثورة ، وهو متوحش وحنون في مزاج متوهج من الحب اليائس « The Work of Emily Mrontë and the Brontë Problem ». Transcations of the Brontë Society, vol. 2 pp. 122 - 190). ان هذا سخيف : فهيثكليف لاينغمس هنا في السخرية ، ومن المؤكد انه « لايحبطه احساسه بالخطا » وكاترين يمكن بصعوبة أن تعد « جميلة » كما كانت ، وهيثكليف ليس حنونا ، ومزاجه ليس « متوهجا » ولا « يائسا » .

أهتم بما آلمك ، ولن أبالي بشيء من آلامك ، ولماذا لاتتألم ؟ » فيستطيع أن يجيبها في لطف : « ألا يكفي أنانيتك الجهنمية أنك بينما تنعمين بالطمأنينة سوف أتلوى في عذاب الجحيم ؟ » (الفصل الخامس عشر) . ولم يكن في وسعهما أن يتقابلا الا في الالم والحزن . « اذا أحزنتك كلمة مني فيما بعد ، فأظن أنني سأشعر بالحزن نفسه تحت الثرى » .

لأن كاثرين لم تكن قادرة على مواجهة حاجات الجنسية البالغية ، يثأر هيثكليف بفرض الجنسية البالغية على الطفلين ، طفلها وطفله . و « الحب » بين لينتون وكاثي يواجه على نحو مروع الحب بين أبويهما . وفي حين أن الأبوين مخلصان لبعضهما مع سرعة في الغضب ولكنهما لايجدان وسائل وافية للتعبير ، فان لليفعين وسائل تعبير مفروضة عليهما حتى ولو وجد كل منهما الآخر بغيضاً كل البغض . ولينتون لايستطيع أن يتحمل النساء ، ولأنه عذبه حضور كاثي بما فيه الكفاية ، فمسموح له ـ لراحته التي لاتوصف ـ أن ينام مع هيرتون . وعلى أية حال ، فان لينتون يقتل أخيرا ، ويكتمل الثأر (١١) .

---

(١١) على الرغم من انعزال منطقة مرتفعات وذرنغ الواضح من بقية انكلترا ، فان بعض النقاد يلحون على رواية دلالة اجتماعية في « تمرد هيثكليف » . وهكذا فان أرنولد كيتل Arnold Kettle يماثل بين هيثكليف والطبقة العاملة ، « قد حطت بقدره جسديا وروحيا شروط هذا المجتمع [الفكتوري] وعلاقاته » (« Emily Brontë », Am Introduction to the English Novel, vol. I, Hutchinron, يبدو لي أن هذا (يحرف) معنى هيثكليف ويقصره على التمرد . والمستر كيتل يذكرنا بحق ان « هيثكليف لم يولد في صفحات بيرون ، بل في حي الفقراء في ليفربول » (ص ١٣٩) . ولكن ما هو اهم من ذلك أن هيثكليف ولد شعريا وأنه كثيرا ما كان يتصرف كأنه قد انتسب مباشرة الى مجلد بيرون .

— ٤ —

بمقتل لينتون تصبح المعاني الضمنية الرهيبة لتيمة قتل الاطفال واضحة · فما دامت الطفولة هي مصدر الانحراف ، فمن المنطقى أن يكون الأطفال خائفين ، مكروهين ، وفي النهاية مقتولين · وقد كانت « الطفلة » في كاثرين هي التي دمرت الحب بينها وبين هيثكليف ، و « الطفل » في لينتون هو الذي يكرهه هيثكليف : انه يفرض « الحب البالغي » على ابنه وكاثي وهو يعلم حق العلم أن مثل هذا الحب لايمكن احتماله البتة · العين بالعين ، والسن بالسن(١٢) ·

ان قصة « الحب » العظيمة في « مرتفعات وذرنغ » اذن تبدأ بالانحراف وتنتهي بالانحراف(١٣) · وينمو « الحب » بين كاثرين

---

(١٢) برأيي ان هيثكليف ، بوصفه مخلوقا شيا ، غير مقنع كل الاقناع . واقوى الاتهامات التي اتهم بها هيثكليف هي من ميوريل سبارك وديرك ستانفورد Muriel Spark and Derek Stanford, Emily Mrontë, Ouen, 1953, pp. 254 - 6. ومن ماري فيسيك Mary ,Vicick, The Genesis of Wuthering Heights Hong Kong University Press, 1958, pp. 74 - 81. ويبقى اقوى دفاع عن هيثكليف من مي سينكلير May Sinclair, The Three Brontës, Borton and New York, 1912, pp. 244 - 52.

(١٣) يقول اللورد ديفد سسل Lord Davil Cecil ان « رؤية املي برونتي تسير في تضاد مالوف بين الخير والشر » (« Emily Brontë and Wictorian Heights » , Early Victorian Novelirts , Collins, 1934 , p. 154) ويصر س. دي لويس C. Day Lewis ان « في التناقض الرهيب المتبدد للرواية ... حل الهوى محل الرحمة بوصفه تبريرا لمتطاء القانون الاخلاقي » انظر (Notable Images of Virtue, 1954, Toronto, p. 10). كذلك Ruth Adams, « Wuthering Heights . The Land Eaet of Eden », Nineteenth - Gentury Fiction, vol. 13, 1958, p. 59.

وهيثكليف تحت تهديد قتل الاطفال الرهيب ، ولايخضع للتحول الى النضج ، فيبلغ الذروة في الانتقام من الجيل التالي • والنجاة الوحيدة هي الموت ، ويتوق كل من كاثرين وهيثكليف بعمق الى الموت • تقول كاثرين : « أشد مايضايقني هو هذا السجن المحطم ، وأنا فوق ذلك تعبة ، تعبة من انحباسي هنا • انني ضجرة أود أن أهرب الى ذلك العالم المجيد ، وأن أظل فيه أبداً ••• معه وفيه حقيقة » (الفصل الخامس عشر) • وهيثكليف تواق مثلها الى اموت • وما أن يقتل ابنه حتى يود عامدا أن يموت • ان هؤلاء الناس يأخذون الحياة بسعتها ويختارون أن يموتوا ، وماذلك الا لأن الحياة لم تحقق لهم متطلباتهم • وفي النهاية ، يرى الغلام الراعي « هيثكليف وامرأة » (لم تعد طفلة) يطوفان بحرية وسعادة حول المستنقعات • الا أن نهاية كهذه لايمكن أن تتحقق في الحياة • فلحياة لم تكن غير الألم والكره والانحراف • والجزية المدفوعة للقدرات الشعرية الممتازة عند املي برونتي هي أنها خدعت أجيال القراء وجعلتهم يعتقدون أنهم كانوا يقرؤون قصة حب جميلة رومانتيكية مجيدة حقاً(١٤) •

---

(١٤) كان هدف هذا التحليل ، في جانب منه على الاقل ، ان يلغي تلك التفسيرات كالتفسير الذي قدمه ملفين . ر. واطسون Melv.n. R. Watson . « ان « مرتفعات ويذرنغ » ، الى دراسة سيكولوجية للانسان الازلي الذي تمزقت روحه بين الحب والبغض ... ففي هثكليف هنا يبحث المرء عن الاخلاق او الفضائل المسيحية ،

←

أنه روح بدائية وثنية ، على الرغم من أن الحب يتهر حتى هيتكليف في النهاية»
(« Tempest in the Soul : The Theme and Structure of Wuthering Heights », Ninteenth - Century Fiction, vol. 4, 1949, pp. 89 - 90)
يبدو لي أن هذا التفسير يذعن كثيرا الى سلطان الحب (بمعنى « الاخلاق والفضائل المسيحية ») . وهو يتضمن التطهر من الشر في روح هيتكليف . الحب يقهر البغض . والرأي عندي أن هذا هراء . فهيتكليف لايشعر بالصراع بين « الحب » والبغض ، ولا يقوم بتنازلات للحب أو الأخلاق التقليدية ، وهو ببساطة يصبح في النهاية منهوكا . وعندما يتغلب الحب على البغض — كما في حب كاثي تهذيب هيرتون وتعلمه أن يتخلص من كل خشونة فيه . عن هذه النقطة راجع : Dorothy Van Ghent, « The Window Figure and the Two - Children Figure in Wuthering Heights », Nineteenth - Century Fiction, vol. 7, 1959, pp. 189 - 97. على أن هذا النصر يكلف ثمنا باهظا . وكما يقول مارك شورر : « أهو عظمة أخلاقية ؟ ليس أبدا ، وإنما مشهد تدميري للخراب ، مشهد الإنقاض » (Technique as Discovery », in Forms of Moder Fiction, ed William Van وقد كتب في هذه النقطة نفسها ج. د. كلينغو بولوس G. D. Klingopulos, « The Novel as Dramatic Poem (2) Wuthering Heights, Serutiny, vol. 14, 1946, p. 284.

□ □ □

قصـــتان مـــن اســـبانيا

* ترجمة مصطفى المهماة

نشرت مجلة « سطافيطا الجديدة » التي تصدرها وزارة الثقافة الاسبانية ، في عددها الاخير (١٢) نوفمبر ١٩٧٩ ، مجموعـــة من القصص القصيرة ، التـــي فـــازت في مبـــاراة « القصة القصيرة » .

ونظرا لاهمية القصص الفائزة ، فقد ارتايت ان اترجمها ، حسب ظروفي الزمنية ، ليطلع عليها القارىء العربي ، على ما تنتجه قرائح الكتاب الاسبان .

الــورق المثـــنى PAPIRO FLEXIA

■ البرتو أومــر ALBERTO - OMAR

يعجبني صنع الحيوانات الصغيرة من الورق ، ويسمى هـذا ثنـــي الورق ، لعب هادىء وجميل ، البارحة أو منذ قرن . لعلي في هذا الصباح ، صنعت حيوانا صغيرا بورق أزرق وآخر أبيض . كان حيوانا صغيرا لان له أربعة قوائم وجسم ورأس . ولا أعرف من أي نوع . كان هناك في الزاوية ،

وعندما رجعت رايته يأكل فطوري ٠ ولم أحرمه ، بل بالعكس أتيت له بالكثير من الحليب ووضعته في الصحن لمعرفة ما اذا كان سيقبله اقترب وشرب الحليب بطقطقات ناعمة ومقنعة ، انظر اليه ، وفكرت في صنع حيوانات صغيرة أخرى من الورق : كثيرا ، ولكن من بعد (ربما البارحة ، أو بعد لحظة ، وربما في العام الماضي) ٠ انتهت لي الوريقات ، فضلت الاستمرار في الكتابة ٠

سحبت الحيوان الصغير ، وكتبت عليه ، كان جد مؤلم ٠

□ □ □

افرشــة مفصولــة

■ ماريا دل كرمين أرياس

يعمل البرد في الخارج ، ربما كان الناس غير محظوظين ولكن قالوا لي : في هذه الليلة لن نذهب الى أي مكان : كنت جميلة جدا ،الجمال يخلق مني سعيدة ، أنا كنت كل هذا ، ولم يكن في الا الامل ، منذ هذه اللحظة التي أعيشها ، طائرة بالسعادة ، في انتظار اللقاء ٠

يسمونه اللقاء ، ولكن ليس هذا بالتمام، كنا مجتمعين طول اليوم٠ كان الليل ، وأنا كنت متأثرة بالعاطفة ، لانها تعني الكثير من الاشياء :

الحب ، قل لي : أحبك أشعر بالسعادة ، وضمان الضمة ، بل ضمات ، واعطي أهمية قصوى للذي حدث ٠

أتذكر الكثير من الاشياء : في احدى المرات كانت سيدة تظن أنـي طائشـة (الحقيقة لم أكن) وقالت لي في أي وقت ستتزوجين ، متى ؟ وأجبتها : والآخر ؟

وأثرت فيها الكثير من السخرية ٠

لماذا هي لاتحسب هذا ؟ الاخر بالنسبة الينا ، له الكثير من الاهمية ، الضجع ، ليضمك ، ليكون جسمك شيئا عاطفيا ، حلوا سعيدا ، وكذلك ـ لماذا لا ـ يصلح لشخصين يكونان سعيدين احساس بالتأكيد يخلف الهراء لاشيء له أكثر قيمة من هذا : والاخر الذي يحبك ، وتحبه من كل أعماق نفسك ،والاخذ بالحياة نفس الخطوة ، ونفس الساعة ، اذا تشعر بالهدوء ، وليس عندك خوف من الحياة ٠

هذه الحيـاة القاسية التـي تدفعنـا للعيش ، مـع الكثيريـن مـن الاشخاص الاشرار ٠

في نهار جميل الكل سينتهي ، لماذا ؟ الحب في الفراش ؟ هكـذا ، حسنا ٠ بالنسبة الي يهمني التفاهـم والصراحـة ، والحـق ، الحـق ، الصداقة ، التي تضع الدراع على الرجل ، لا أعرف الحياة أهـي هكـذا لاتذكر حياتي ٠ في مرة قال لي : اشترى كاسين جميلين ورسمهما احقا ٠ نعم ٠ كم يعني هذا كانا وسيكونا ٠ كأسينـا على طول الحياة أشتري

كؤوساً جميلة وفريدة ، وأكتب عليها نعم ، الحق جميل ، كان حقا :كانوا كؤوسنا (كان أول من كسر) كانت أفرشة مفصولة ، وأفكار مفصولة، وأيادي لاتلتقي . والآن ماذا ، والآن ، أوُجَدَ من غير حماية ، وأحتيل عليّ كثيرا .

انتظر في يوم ما ، أعثر على غطاء ليغطي أجسامنا ، واحتكاك لأحيائنا وذاك قد انتهى ، ولو بطريقة أخرى والذكرى لها شيء من العاطفة ، أرغب من كل قلبي ، لاني أشعر حزينة في هذا العالم القاسي والعاسف الذي يضطهدنا ولا يوجد له أكثر من نهاية : فعل الالم .

□ □ □